الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون تيارت
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

موسومة بـــ:

العلماء الموسوعيون في الغرب الإسلامي وأثرهم في الإنتاج العلمي خلال العصر الوسيط

(ابن حزم الأندلسي وابن يحي الونشريسي أنموذجا)

إعداد الطالب:
بن قوشة العربي

إشراف:
أ. د . عليلي محمد

لجنة المناقشة

د. حاكمي حبيب	رئيسا
أ.د عليلي محمد	مشرفا ومقررا
د. صديقي نصيرة	مناقشا

السنة الجامعية: 1444 ـ 1445هـ / 2023 ـ 2024 م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــــداء

إلى الذي أرجو الله أن يمد في عمره ويرزقه الصحة والعافية والدي الكريم

إلى منبع الرحمة والتفاني وبسمة الحياة ألبسها الله لباس

الشفاء والصحة أمي الحبيبة

إلى من كانوا سندا لي على كل حال إخوتي وأخواتي

إلى الزوجة الكريمة التي تحملت معي ظروف إنجاز هذه المذكرة

إلى المؤنستين الغاليتين ابنتيا ثمرة الفؤاد "أريج" و ريحانة القلب"أسيل"

إلى من زرعوا التفاؤل بدربنا وقدموا لنا النصح والمساعدة

والتسهيلات والأفكار والمعلومات كل بجميل

وسمه وروعة اسمه وخفة رسمه

وأخص بالذكر منهم كل من عبد النور سراي وعلي سراي

والحاج سعد

أهدي هذا العمل

شكـــر وعرفـــان

أحمد الله عز وجل أولا وآخرا على جميل كرمه وعفوه
وحسن تأييده وتوفيقه وتيسير إنجاز هذه المذكرة
ثم أتقدم بجزيل الشكر والامتنان لمن فضله
لا يمكن تعويضه بحال بعد توفيق الله عز وجل
الأستاذ الدكتور المشرف عليلي محمد
الذي تعهدني بالتوجيه الدائم والنصح المستمر وتحمله معي إنجاز هذه المذكرة
كما أتقدم بجزيل الشكر إلى لجنة أعضاء المناقشة
الدكتورة صديقي نصيرة
والدكتور حاكمي حبيب
الذين شرفاني بمناقشة هذه المذكرة إذكاء لها توجيها
واستدراكا، وإلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد على
إنجاز هذا العمل وأخص بالذكر أساتذة قسم التاريخ
بجامعة ابن خلدون بتيارت، الذين طالما حفزونا
وأشعلوا فينا بهجة حب التاريخ والاستمتاع بدراسته كل ببصمته
إلى إدارة القسم للتسهيلات التي قدموها لنا
إلى كل طلبة دفعة تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط
1444 ـ 1445 هـ / 2023 ـ 2024م

قائمـــة المختصـرات

الكلمة	مختصراتها
إشراف	إش
تحقيق	تح
تصوير	تص
تقديم	تق
الجزء	ج
دون تاريخ الطبع	(د . ت . ط)
دون مكان الطبع	(د . م . ط)
راجعه	راج
شرحه	شر
الصفحة	ص
الطبعة	ط
مجلد أو مجموعة	مج
مراجعة	مر
نقله	نق
قسم	قس
عدد	عد

الاقتبـــاس

مقدمـــة

عرفت بلاد الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط الإسلامي زخما واسعا في كل المجالات السياسية والثقافية والدينية وغيرها، هذا الزخم لم يكن بمنأى عن العلماء والعارفين بل هم أهم أقطاب هذا الزخم.

هذا الزخم تواكب مع رجال علت هممهم وتوسعت، وتظافرت اهتماماتهم وتنوعت واختلفت مراميهم في بعض الأحيان، وفي أخرى اتفقت، هذا ما تبلور في جملة المؤلفات والكتابات في مختلف فروع العلم وتخصصاته، حيث تميزت بلاد الغرب الإسلامي بالعلماء الموسوعين، إذ لا تكاد تجد عالما قد اكتفى بفرع علمي واحد، ولا بمجال معرفي خاص، هذا على مستوى العدوتين المغربية والأندلسية على حد السواء، من أمثلة هؤلاء ابن حزم الأندلسي(ت456هـ/1064م)، وأبو حيان الغرناطي(ت745هـ/1344م)، وأبو الحسن علي القلصادي (ت891هـ/1487م) في بلاد الأندلس أما بلاد المغرب الإسلامي فوجد بها ابن خلدون(ت808هـ/1406م)، والمقري التلمساني(ت1042هـ/ 1632م)، وأحمد بن يحي الونشريسي (ت914هـ/1509م) وغيرهم من العلماء، وبناء على هذا التمهيد جاء موضوع بحثنا موسوما بـ:

"**العلماء الموسوعيون في الغرب الإسلامي وأثرهم في الإنتاج العلمي خلال العصر الوسيط**".

وكانت الغاية من هذه الدراسة هي إحصاء أهم المؤلفات والمنتجات العلمية لبعض العلماء الموسوعيين ببلاد الغرب الإسلامي ـ نموذج من كل عدوة ـ مقيدين في ذلك بحدود مكانية، وأطر زمنية.

وكان من دوافع وأسباب اختيار موضوع البحث:

ـ الرغبة الذاتية والحاجة المعرفية الملحة والضرورية للتعرف على نماذج من العلماء الموسعيين الذين برزوا في بلاد الغرب الإسلامي فقبل أن يقع الاختيار على نموذجين تحتم علينا

الاطلاع على باقي العلماء الموسوعين ما أثارنا لمطالعة سيرة ومؤلفات باقي العلماء الموسوعيين.

ـ الرغبة الذاتية في الاحتكاك بأكبر قدر من المؤلفات والمصادر لبعض العلماء الموسوعيين باعتبار التأليف في عديد المجالات والتخصصات ـ مايذكي حفيظتي كطالب ـ اطلاعا وتحفيزا ورفعا للهمة.

ـ تقديم أنموذج دراسة أو بحث جديد لعله يقدم إضافة ولو من الناحية النقدية، أو إيصال فكرة معينة قد تكون مشروع بحث أو دراسة مستفيضة مستقبلا .

وبناء على ما سبق فمسألة الموسوعية وما أنتجته من كتب ومؤلفات، والتي كادت أن تقضي عليها مسألة التوسع في التخصصات والمبالغة فيها، هي جديرة بإعادة إحياء نماذجها وأمجادها، وبعث همة الطلبة والباحثين للإقبال على العلم والأخذ من منابعه على مختلف فروعه كل حسب إمكاناته وملكاته.

وحتى يستقيم بحثنا هذا مع أبجديات البحث العلمي وما يتطلبه من جهود في تقصي وضبط المادة التاريخية في أطارها العلمية قمنا بصياغة الإشكالية التالية :

ـ ما هي المكانة الحضارية للعلماء الموسوعين في الأوساط العلمية ببلاد الغرب الإسلامي في العصر الوسيط ؟

لتتفرع عن الإشكالية الرئيسية إشكاليات فرعية:

ـ ما هي العوامل والظروف التي جعلت إنتاجهم العلمي ذا طابع موسوعي ؟
ـ ما هو مجال الإسهام العلمي الموسوعي لكل من ابن حزم الأندلسي وابن يحي الونشريسي ؟
ـ ما هي القيمة العلمية والتاريخية لموسوعيتهما في العدوتين المغاربية والأندليسة ؟

ولإعطاء الدراسة قيمة علمية مضافة اعتمدنا المنهج التاريخي والمنهج التحليلي، وقد تطلب منا موضوع البحث الاستعانة أيضا بالمنهج المقارن، حيث تم توظيف المنهج التاريخي في ذكر تاريخ التأليف وأهم الحوادث المتعلقة بحياة هؤلاء العلماء، فأحيانا يذكر تاريخ التأليف وأحيانا سببه وظروفه، وعنوان الكتاب وأحيانا تذكر المصادر للمؤلف الواحد أكثر من عنوان، أما التحليل فيكون بتناول موضع المؤلف ومادته التي يحملها بين طياته، والتي تساعد بدورها في المقارنة بين مجالات التأليف لكل عالم موسوعي، وميولاته، ودرجة نبوغه في الموسوعية.

أما بخصوص الدراسات السابقة المتصلة بهذا الموضوع فهي موجودة على شكل مقالات أو تذكر عرضا، أو عناوين فرعية في بعض المؤلفات، وهي متعلقة فقط بالموسوعية الحديثة، أما كدراسة مستقلة فلم نحصل على مؤلفات ودراسات في موضوع بحثنا، على الأقل فيما اطلعنا عليه.

ورغبة في توضيح الإطار البحثي الأكاديمي والمعالم الكبرى للموضوع قيد الدراسة ارتأينا أن نقسم بحثنا وفق الخطة التالية:

مقدمة

فصل تمهيدي عنوناه بـ:"حركة التأليف وموسوعيتها عند العلماء المسلمين"، وقد تناولنا فيه مبحثين: الأول منه تعلق بالتأليف والإنتاج العلمي عند المسلمين مدعما بمطلبين أوله حركة الإنتاج العلمي ودوافعها عند العلماء المسلمين، والثاني بعنوان عوامل نبوغ العلماء المسلمين في أكثر من فن، أما المبحث الثاني: فعنون بموسوعية العلماء المسلمين، لنوظف ضمنه مطلبين كان لابد علينا من التطرق لهما لتسهيل ربط الفصول البحثية بعضها ببعض تمثلا هذين المطلبين في مفهوم العلماء الموسوعيين والتأليف الموسوعي، والتأثر والتأثير المتبادل بين موسوعيي العدوتين.

أما الفصل الأول فكان بعنوان:"ابن حزم الأندلسي ونماذج من إنتاجاته العلمية"، وضمناه بدوره مبحثين الأول: بعنوان التعريف بابن حزم الأندلسي وتناولنا فيه مولده ونسبه ونشأته وطلبه للعلم،

محنته ووفاته، أما المبحث الثاني: فبعنوان نماذج من الإنتاج العلمي لابن حزم، ليتم تقسيمه إلى ثلاثة مطالب الأول منه هو تأليفه في العقيد والأديان والفكر والثاني تأليفه في الفقه وأصوله، أما الثالث في التاريخ والسير والأدب.

أما الفصل الثاني: فكان تحت عنوان:"أحمد بن يحي الونشريسي ونماذج من إنتاجاته العلمية" وقد احتوى مبحثين الأول: هو التعريف بأحمد بن يحي الونشريسي، وفيه ثلاثة مطالب مولده ونسبه، نشأته وطلبه للعلم، محنته ووفاته، أما المبحث الثاني: والذي عنوناه بنماذج من الإنتاج العلمي لأحمد بن يحي الونشريسي، و احتوى ثلاثة مطالب أولاها تأليفه في مجال الفقه وأصوله ومقاصد الشريعة الإسلامية، والثاني تأليفه في السياسة والحكم والقضاء، والمطلب الأخير تأليفه في التراجم والتاريخ، لنختم بحثنا بخاتمة هي بمثابة النتائج النهائية لهذا البحث.

ولكي تأخذ دراستنا قيمة علمية ومعرفية وتستوفي الجوانب المهمة من البحث وتلامس الإجابة عن الإشكالية المطروحة، اعتمدنا مجموعة من المؤلفات بما يثري موضوع بحثنا، منها:

أ. المصـــــادر :

ـ كتاب:"**سير أعلام النبلاء**" لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ/1374م)، للتعريف ابن حزم الأندلسي.

ـ كتاب:"**الفصل في الملل والأهواء والنحل**"، لابن حزم الأندلسي(ت 456هـ/ 1064م)، واستفدنا منهما في مبحث نماذج من المنتوج العلمي الذي برع فيه ابن حزم.

ـ كتاب:" **جمل فتوح الإسلام**" وهذا المؤلف كذلك لابن حزم الأندلسي(ت 456هـ/ 1064م)، واستفدنا منه هو الآخر في مبحث نماذج من المنتوج العلمي الذي برع فيه ابن حزم.

ـ كتاب:" **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**" لعبد الحي الكتاني، لأخذ نبذة عن حياة أحمد بن يحي الونشريسي.

ـ كتاب:"**جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس**" لأحمد بن القاضي المكناسي(960هـ/1025م)، ذلك للتعريف بشخصية أحمد بن يحي الونشريسي .

ـ كتاب:"**المعيار المعرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**"، لأبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي(ت834هـ/1430م) إثراء لمبحث الإنتاج العلمي للونشريسي.

ـ كتاب:"**الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية**"، وهذا المؤلف كذلك لأبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي(ت834هـ/1430م) لنثري به مبحث الإنتاج العلمي للونشريسي.

ب ـ المراجـــع :

ـ كتاب "**دوافع البحث والتأليف عند المسلمين**"، لمحمد خير رمضان يوسف، وذلك خدمة لعنصر حركة الإنتاج العلمي ودوافعها عند العلماء المسلمين، وكذلك عنصر عوامل نبوغ العلماء المسلمين في أكثر من مجال علمي.

ـ كتاب:"**الحياة العلمية في إفريقية والمغرب الأدنى من الفتح حتى منتصف القرن الخامس الهجري**" ليوسف بن أحمد حوالة، استثمارا لعنصر عوامل نبوغ العلماء المسلمين في أكثر من فن.

ـ كتاب:"**معجـم المصطلحـات العربيـة في اللغـة والأدب**" لكل من مجدي وهبه، وكامل المهندس، لضبط مفهوم الموسوعية.

ـ كتاب:"**المغرب عبر التاريخ**"لإبراهيم حركات إثراء لعنصر التأثير والتأثر بين موسوعيي العدوتين المغربية والأندلسية.

ولا بد في الأخير من التذكير بأن إنجاز هذه المذكرة لم يكن بالأمر الهين بل قد واجهت في مختلف مراحل اعدادها مجموعة من الصعوبات التي لا يسلم منها أي باحث أكاديمي يريد أن يلم بمختلف جوانب موضوع بحثه فهي من طبيعة البحوث العلمية، ويمكن تلخيصها في النقاط التالية :

- عدم توافر مصادر ومراجع لضبط مفهوم العلماء المسوعيين، وذلك عائد لعدم اعتباره ميزة في تلك الفترة، وإنما اعتبر كذلك في الفترات اللاحقة التي تميزت بالتخصصية.

- صعوبة اختيار نموذجين من العلماء الموسوعيين من كل عدوة (المغربية والأندلسية) على أساس التقارب من حيث الكم في التأليف وتعدد مجالات التأليف لدى كل عالم.

- صعوبة تصنيف المؤلفات باعتبار التأليف الغالب في جانب دون الآخر خاصة بالنسبة لمؤلفات أحمد بن يحي الونشريسي بحيث يغلب عليها الجانب الفقهي والنوازلي، ذلك على الأقل في ظاهرها، مع وجود مؤلف واحد في بعض الفروع العلمية كالتاريخ مثل كتاب الوفايات في حدود ما اطلعنا عليه.

- ضيق المدة الزمنية الممنوحة لإنجاز مذكرة التخرج قد جعلني أسارع الزمن من أجل إتمامها في الآجال المحددة، لأن البحث والغوص في هكذا مواضيع يتطلب جهدا ووقتا للإحاطة بكل جوانبه، والتدقيق في المصادر التي تطرقت لها.

ولكن ينبغي على الباحث أن يحاول التغلب على هذه الصعوبات قدر المستطاع؛ لأن قيمة الهدف الذي يسعى إليه هي تذليل الصعوبات التي تقف أمامه، فأتمنى أني قد وفقت ولو بنسبة معينة في إنجاز هذه المذكرة .

الفصل التمهيدي:

حركـة التأليـف وموسوعيتهـا عنـد العلمـاء المسلميــن:

المبحـث الأول: التأليف والإنتاج العلمي عند المسلمين:

1ـ حركة الإنتاج العلمي، ودوافعها عند العلماء المسلمين.

2ـ عوامـل نبـوغ العلمــاء المسلميـن فـي أكثـر من فن.

المبحـــث الثانـي: موسوعيـــة العلمـــاء المسلميــن:

1ـ العلماء المسوعيون والتأليف الموسوعي.

2ـ التأثر والتأثير المتبادل بين موسوعيي العدوة المغربية والعدوة الأندلسية.

إن للتأليف والتدوين أدوار كثيرة ومهمة للغاية ذلك بالكشف عن الكثير من الحقائق والوقائع والآراء، وفي مختلف المجالات ذلك كله في إطار التواصل الحضاري والثقافي بين الأجيال المتعاقبة بما يحمل من رصيد وآثار وموروثات، تقدم صورة ولو تقريبية عن المجتمعات السابقة وكيفية صناعتها لهذه الآثار أسبابا وظروفا، وكذلك أسلوب التعامل معها ومع نتائجها.

المبحث الأول: التأليف والإنتاج العلمي عند المسلمين:

إن أي أمة لا يمكن لها الرقي، ولا الوجود الحضاري، ولا الاعتبار الوجودي إلا إذا اهتمت بتراثها، سواء كان هذا التراث معنويا، كالعادات والتقاليد والخصائص المجتمعية، أو تراثا ماديا كالعمران، والآثار، والإنتاج الفكري والعلمي وغيره، ذلك أن الحفاظ على التراث هو جزء من الحفاظ على مقومات الأمة، بإيجابياته وسلبياته، فما كان منه إيجابيا يثمن ويبنى عليه، وما كان سلبيا يحلل ويصحح لاستفادة منه فيما يستقبل من الزمن، وفي الحقيقة أن التراث بنوعيه ـ المادي والمعنوي ـ لا يمكن له أن يستمر أو أن يحفظ أو يستفاد منه إلا إذا وضع ضمن خزانة الإنتاج الفكري والعلمي عن طريق والتدوين والتأليف.

01 ـ حركة الإنتاج العلمي، ودوافعها عند العلماء المسلمين:

رغم معرفة عرب الجاهلية بالكتابة فإنهم لم يستعملوها في حفظ تراثهم ونقله لأجيالهم المتعاقبة، بل اعتمدوا في ذلك الرواية الشفهية فالشعر والنثر الجاهليان انتقلا جيلا بعد جيل مشافهة لأنهم أثبت الناس حفظا، ولم تكن الكتابة الإبداعية من طبيعة نظامهم الاجتماعي، ومن ثم نشأ فيهم الأخذ والتحمل فكان كل عربي بطبيعته راويا

فيما هو بسبيله من أمره وأمر قومه[1]، وهذا ما أشار إليه الرافعي في قوله:"... وهم مصدر الرواية وقدوة الرواة"[2]، يقصد العرب.

ثم جاء الإسلام وظهرت الحاجة لتدوين القرآن الكريم في عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتم تدوينه، ليتم جمعه في عهد عثمان ـ رضي الله عنه ـ آخر جمع بالرسم العثماني ووزع على الأمصار بعد حرق باقي النسخ المخالفة للعرضة الأخيرة حتى لا يختلف الناس على القرآن الكريم، وقد تأخر تدوين الحديث النبوي الشريف بسبب نهي النبي عليه الصلاة والسلام حتى لا يختلط بالقرآن، وعندما تم جمع القرآن الكريم، بدأ تدوين الحديث النبوي في عهد عمر بن عبد العزيز(99 ـ 101هـ)، الذي أمر محمد بن مسلم الزهري(ت 123أو124هـ) بتدوين الحديث[3]، وباعتبار السنة المصدر الثاني للتشريع فإنها أخذت حضها كاملا غير منقوص من الدراسة والتأليف.

وبتدوين القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف انبثقت النواة الأولى للحركة العلمية التي عرفها العرب فيما بعد فكل الإنتاجات المعرفية كانت خدمة للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وما يتصل بهما من لغة وأدب وتاريخ وغيرها، وبهذا نشطت وازدهرت حركة التأليف عند العرب نتيجة لاستقرار العرب في عهد الدولة العباسية، بعد أن مهدت لها الدولة الأموية الطريق بعد إتمام حركة الفتح، مع ظهور الورق وانتشار صناعته، والحاجة الملحة لخدمة الوحيين بالإضافة إلى حركة الترجمة التي نقلت علوم اليونان والفرس والروم وغيرهم[4]، هذا في إطار التلاقح

---

1. بوطاهر بوسدر،"تاريخ الكتابة والتأليف عند العرب"، **شبكة الألوكة** https://www .alukah.net، تاريخ النشر:2017/12/10، تاريخ الاطلاع : 2024/02/20م، ص ص 1 ـ 18، ص4 .

2. مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج1، ط4، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، 1394هـ/1974م، ص233.

3 ـ المرجع نفسه، ص4.

4 ـ المرجع نفسه، ص4 ـ 5.

الفكري والمعرفي باعتبار أن العلوم والمعارف مشتركة بين الإنسانية جمعاء إلا ما كان له علاقة بالمعتقد والديانة فإن الإسلام قد حكم الوحي بأنه خاتم الرسالات والناسخ لها، فما كان خارج عنه وعن مقاصده ـ الإسلام ـ فلا اعتبار له .

لا يمكن بحال من الأحوال أن يكون هناك إنتاج علمي أوفكري مهما كان نوعه وحجمه وليس وراءه أسباب هي بمثابة المحفزات التي حركت في المؤلف ملكة معينة للإقدام على تقديم إضافة علمية ومعرفية، وانطلاقا من هذه الاعتبارات تمثلت أهم أسباب ودوافع التأليف عند المسلمين في ما يلي:

أ ـ الاستنباط والتأسيس:

ويكون الاستنباط والتأسيس في تصنيف جديد[1] وهو بهذا لم يسبقه إليه غيره فيكون إبداعا له[2]، إذ أنه موضوع محدث قدح في فكر المؤلف فيعمد إلى جمع الشواهد والأدلة للخروج بفكرة جديدة، ويدخل في هذا الباب جمع ما كان مفرقا إذا كان لموضوعات متخصصة ولم يسبق إفرادها في كتاب[3]، فيكون إبداعا لا على أساس المادة العلمية، بل باعتبار التصنيف الموضوعي المتخصص، إما بجمعها حسب التسلسل الزمني، أو حسب المواضيع ذات الطابع الواحد أو المواضيع المتقاربة، وما إلى غير ذلك من الأفكار التي تقدح في ذهن المؤلف.

---

1 . محمد خير رمضان يوسف، دوافع البحث والتأليف عند المسلمين، ط1، دار بن حزم، بيروت ـ 1426هـ/2005م، ص 133 .

2 . شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ج3، تح: مصطفى السقا وغيره، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ـ مصر، 1358 هـ/1939 م، ص 34 . 35.

3 . المرجع السابق، ص133.

ب ـ التكملـة والاستـدراك :

بطبيعة الحال التكملة تكون لما كان ناقصا، وأما الاستدراك يكون لما فات[1]، فيقصد المطلع على ذلك أن يتمم ما نقص من تلك المسائل[2]، وهذا بسب وفاة صاحب التأليف قبل إتمامه، وقد ينهيه وتفوته بعض الأساسيات أو الفروع، وقد يستدرك المؤلف على نفسه فيصدر كتابا آخر في موضوعه فيعتبر الأول مسودة والأخير مستدركا[3]، وفي الغالب نجد أن من ألف بسبب هذا العامل يذكر محل النقص الذي هو بصدد تكملته، أو الاستدراك الذي أرشد إليه وتجدر بنا الإشارة إلى أن التكملة والاستدراك لا تكون دائما ذات صلة بالمستوى العالي للمؤلف من عدمه بل تكون في بعض الأحيان متعلقة بعدم بلوغ المادة المعرفية كاملة عنده.

ت ـ الشـرح والبيـان:

أما الشرح فيكون للمُشْكَلِ، والتبيين يكون للمبهم[4]، فيقف على كلام الأولين وتآليفهم فيجدها مستغلقة على الأفهام فيحرص على إبانة ذلك لتصل الفائدة لمستحقها[5]، كتفسير القرآن الكريم، وشرح الأحاديث النبوية، والمتون الفقهية واللغوية، وعلوم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وغيره[6]، مثل:"الجامع لأحكام القرآن" للإمام القرطبي الذي ذكر في مقدمته أنه لم يذكر في تفسيره إلا ما كان لا غنى عنه للتبيين من أحكام الآيات، وأسباب نزولها وتفسير

1 . محمد خير رمضان، المرجع السابق، ص20.

2 . عبد الرحمن ابن خلدون، العبر و ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، 1423هـ/2003م، ص550.

3 . المقري التلمساني، المصدر نفسه، ج3، ص34 . 35.

4 . المصدر نفسه، ج3، ص34 . 35.

5 . عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص550.

6 . محمد خير رمضان يوسف، المرجع السابق، ص78.

الغريب منها، فإن لم تتضمن الآية حكما ذكر ما فيها من التفسير والتأويل[1]، ذلك كله تبسيطا وتسهيلا حتى تستغل هذه المؤلفات استغلالا أمثلا.

ث . الإيجاز والاقتضاب:

إن الشيء من التآليف إذا كان مطولا مسهبا فقد يقصد بالتأليف تلخيص ذلك بالاختصار والإيجاز وحذف المكرر، بشرط عدم الإخلال بمقصد صاحب التأليف وتغيير فهومه[2]، وقد يعمد أحيانا إلى الاختيار لكتب وموضوعات لتقليل الحجم، ذلك للتسهيل والتقريب حتى لا يمل المؤلف ويترك[3]، بسبب تشتت ذهن القارئ بين غريب المصطلحات وطول العبارات .

ج ـ دمج وجمع ما كان مشتتا:

أما الجمع فيكون بعد أن كانت بعض مسائل العلم قد وقعت غير مرتبة، فيتم تنظيمها وترتيبها وتهذيبها، ذلك ليتم تقديمها في جملة العلوم التي ينتحلها الناس بأفكارهم[4]، ذلك لتسهيل التعامل مع هذه المؤلفات.

ح ـ المؤلفات الجامعة والقواميس والمعاجم:

فيعمد بذلك بعض المؤلفين إلى تصنيف معاجم وموسوعات، هذا لطول نفسه وصبره على البحث والتجميع لإعطاء الموضوع حقه، كما أنه يجمع ويكتب ما لم يجمعه ويكتبه أحد في موضوعه، ويختلف هذا حسب جهد كل مؤلف وتكوينه الثقافي، وتخصصه العلمي، وقد يكون

---

1 . محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن المبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان،ج1، ط1، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي ـ محمد رضوان عرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، 1427هـ/2006م، ص8.

2 . عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص550.

3 . المقري التلمساني، المصدر نفسه،ج3، ص34 . 35.

4 . المصدر السابق، ص550.

موضوعا واحدا أو عدة موضوعات في مختلف العلوم والفنون[1]، فينتج عن ذلك مؤلفات ضخمة هي بمثابة الموسوعات أو القواميس والمعاجم .

ونذكر على سبيل المثال مقدمة ابن خلدون حيث ذكر في هذا الباب قوله:" ولم أترك شيئا في أوّليّة الأجيال والدّول، وتعاصر الأمم الأول، وأسباب التّصرّف والحول، في القرون الخالية والملل، وما يعرض في العمران من دولة وملّة، ومدينة وحلّة، وعزّة وذلّة، وكثرة وقلّة، وعلم وصناعة وكسب وإضاعة، وأحوال متقلّبة مشاعة، وبدو وحضر، وواقع ومنتظر، إلّا واستوعبت جمله وأوضحت براهينه وعلله"[2]، كما يمكن أن تكون الأعمال الموسوعية عامة تشمل مجالات متعددة على شاكلة مقدمة ابن خلدون، وقد تكون في مجال محدد كالتفسير أوالأدب، أو التاريخ أوالفقه كموسوعة المعيار للونشريسي(834 . 914هـ) .

خ ـ مراجعـة الأخطـاء وتصحيحهـا:

إن مراجعة الأخطـاء وتصحيحها تكون بالوقوف على مؤلف إذ يلاحظ فيه هفوات فيتم نقده وتصحيحه، وقد يكون هذا العمل كتابا أو موضوعا منه، وقد تكون الملاحظات على فكرة أو مسائـل منهـا، أو على تحريفـات وقـع فيهـا، أو على جوانـب أسلوبيـة منهـا[3]، كما يمكن أن تكون الأخطاء أفكار متناقضة أونصوص مكذوبة، أو وقائع مزيفة دينية أو تاريخية أو سياسية.

لا نجزم أبدا أن دوافع التأليف عند العلماء المسلمين هي محصورة فيما تطرقنا له في هذا المطلب، بل قد تكون هناك دوافع أخرى مثل المجاملات للأمراء والسلاطين، وقد يكون من أجل التكسب، وقد يكون دفاعا عن النفس والفكرة والمبدإ وغير ذلك.

---

1 . محمد خير رمضان يوسف، المرجع السابق، ص89.

2 . عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ص19.

3 . المرجع السابق، ص121.

02 ـ عوامل نبوغ العلماء المسلمين في أكثر من فن:

تعددت العوامل التي أهَّلَت العلماء المسلمين النبوغ في أكثر من علم، والبراعة في أكثر من فن، نذكر منها ما يلي:

أ ـ تزكية الشريعة الإسلامية للعلماء والتذكير بالخيرية التي يحوزها أهل العلم:

فطلبا للمثوبة يقدم المؤلف في بعض الأحيان على الكتابة، وكلما كانت الكتابة مهمة ومحكمة ومفيدة كان أجرها أكبر، وفي هذا تشجيع كبير على تعلم العلم ونشره[1]، ويدخل في هذا كذلك كتب الفتاوى الشرعية فيتم جمعها في كتاب، أو قد تجمع فتاوى عدة علماء فتكون مرجعا عظيما وفائدة محققة[2]، كفتاوى أحمد بن يحي الونشريسي المجموعة في "المعيار المعرب".

ب ـ الذكاء والحرص الموجود عند العلماء :

يتميز بها العلماء المسلمون بالنباهة والبصيرة [3] ما تجعلهم متعطشين للتأليف والاهتمام بما هو أفضل، وهذا فيه ما هو جبلي له علاقة بالقدرات التي يمن بها الله عز وجل على الإنسان، ومنها ما يتعلق بالاجتهاد وآلياته كالحفظ والسفر والسهر والتحدي والمجاهدة، والتعلق بكل أسباب تحصيل العلم.

---

1 . محمد خير رمضان يوسف، المرجع السابق، ص42.

2 . المرجع نفسه، ص31.

3 . إسماعيل عريف،"السمة الموسوعية التكاملية في مؤلفات العلماء المسلمين مقدمة بن خلدون نموذجا"، **مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية**، جامعة حمة لخضر، الوادي ـ الجزائر، تاريخ النشر: 30 ـ12ـ2016م، المجلد: 06، العدد: 02، ص ص: 1 ـ 18، ص 02.

ت ـ الجدية والاهتمام بالبحث في المسائل العلمية تأصيلا وتقعيدا وتحليلا:

فيكون لهذا التأصيل والتحليل في المصنفات إزاحة العناء والاستقصاء ومشقة الأسفار بحثا عن المصادر التي تبين لهم أحكام دينهم ودنياهم، هذا ائتمارا بالقرآن الكريم الذي حثهم بالتبصر والتفكر في خلق السماوات والأرض والاشتغال بطلب العلم النافع تأسيا بالنبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ الذي رغبهم في العلم وحثهم على طلبه مهما كانت الظروف، وفي كل الأحوال[1]، هذا لحاجة الناس إليها، وشعور العلماء بالأمانة التي أوكلها الله ـ عز وجل ـ لهم كان لها الدور المهم في التأليف عموما.

ث ـ الرحلات العلمية:

ينتقل مريد العلم من بلد إلى بلد فيجتهد ما استاطع أن ينهل من مختلف العلوم المتوافرة في ذلك البلد ويستفيد من معارف علمائه، هذا للوعي الذي يحدث للمسلم عندما تفتح مداركه العلمية، حتى أصبحت الرحلة العلمية من أبرز السمات والخصوصيات في الثقافة الإسلامية في العصر الإسلامي الوسيط[2]، إذ أن المنشغل بالعلم إذا لم يرتحل في طلبه عد قدحا في تكوينه العلمي ورصيده المعرفي، كما كان للتعلق العاطفي والارتباط الروحي بالمشرق لدى المغاربة والأندلسيين دورا بارزا في التشجيع على الرحلة العلمية باعتبارهم يشكلون الجناح الغربي للدولة الإسلامية[3]، ذلك لأن العلم ميراث قد أخذ العلماء نشره وتبليغه على عاتقهم.

ونذكر على سبيل المثال من العلماء الموسوعين المغاربة الذين رحلوا إلى المشرق أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي(ت240هـ/854م) الذي رحل إلى المشرق سنة

---

1 . إسماعيل عريف، المرجع السابق، ص2.

2 . يوسف بن أحمد حوالة، الحياة العلمية في إفريقية المغرب الأدنى منذ انتهاء الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري، ج1، ص2005 ـ 2006، ص75.

3 . المرجع السابق، ص123.

(188هـ/803م)، وعاد سنة(191هـ/806م)[1]، ومن الأندلسيين أبو عبد الله محمد بن أبي منظور(ت469هـ/1076م) رحل إلى المشرق، وكتب في رحلته علما كثيرا وتولى القضاء بالقيروان كان له إدراك وسماع كثير، وعلم مشهود وكان مالكياً عالماً، عاملاً بأصول الفقه[2]، وقد لقب بسيد أهل المغرب[3]، فللرحلة العلمية دور مهم في الاحتكاك بالعلماء وحضور المناظرات العلمية والمشاركة فيها، ذلك من أجل الإستزادة والتمحيص العلمي والمعرفي.

ج ـ حب العلم والاهتمام بالتأليف:

حب العلم والتأليف ميزة ظاهرة في هذه الأمة، لكثرة ما ورد فيه من نصوص وآثار وأخبار تحبب فيه، ويجزل عليه الأجر، فاعتمد العلماء الكتابة حبا في العلم والتأليف، ويجدونها أقرب وظيفة إليهم، فهي أحد أنواع التبليغ المأمورين به، وأحد وسائل نشر العلم، وأحد عناصر تبرئة الذمة به، وقد انشغل كثير من العلماء والكتاب بفضائل العلوم وصنفوا في أهمها، إما لأهميتها وحاجة المجتمعات إليها، أو لما يترتب عليها من أجر أكبر وثواب أعظم[4]، فيعتبر بذلك هذا الدافع من أجلّ الدوافع لما يترتب عليه من الإبداع والبراعة في التأليف والابتكار فيه.

---

1 ـ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ط2، تح: إبراهيم شبوح، مكتبة الخانجي ـ مصر، 1986م، ص 4.

2 ـ أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج5، ط2، تح: محمد بن شريفة، 1982م، مطبعة فضالة، المحمدية ـ المغرب، ص329 ـ 330.

3. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج9، دار الحديث، القاهرة ـ مصر، 1427هـ/2006م، ص 462.

4 ـ محمد خير رمضان يوسف، المرجع السابق، ص59.

ح ـ حفظ العلم والمعارف من الضياع:

فكان تقييد العلم شيئا مألوفا لدى علماء هذه الأمة مهما كان شأنه[1]، حتى قال البلوي في كتابه "ألف باء": "ما رأيت أحدا ممن لقيته من أهل الآفاق إلا وله تعاليق وأوراق تحتوي على حكايات وأشعار، ورسائل وأخبار"[2]، وما يدل على قيمة هذا العامل ودرجة أهميته هو أنه أحد الروافد الذي بسببه يحفظ به العلم إضافة للرواية الشفوية.

خ ـ التكامل الموجود بين بعض العلوم:

خاصة في مناهج العلوم الشرعية إذ لا يمكن تصور عالم بالفقه لا يحتاج علوم اللغة العربية وعلوم القرآن، والفقه وأحاديث النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ وغيرها من العلوم المساعدة على الفقه، وكذلك الأمر بالنسبة للعلاقة بين علم الصيدلة والطب والنبات وهكذا.

د ـ انتشار الحواضر الإسلامية العلمية الكبرى:

عرفت بلاد الغرب الإسلامي في العصر الوسيط حواضر علمية هامة، سواء بالنسبة للعدوة المغربية أو الأندلسية:

1ـ حواضر العدوة المغربية:

نجد منها تلمسان وما يدل على أنها حاضرة علم بامتياز ما ذكره القلصادي في رحلته:"...كثر العلماء والصلحاء والعباد فيها كما ارتقى الجد والاجتهاد في طلب العلم"[3]، وهذا يعكس شغف الدولة الزيانية بالعلم والمعرفة، كما أضحت فاس مركز العلم والثقافة والحضارة

---

1 . محمد خير رمضان يوسف، المرجع السابق، ص67 ـ 70.

2 . المرجع نفسع، ص67 . 70.

3 . أبي الحسن علي القلصادي، رحلة القلصادي، تحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، قرطاج . تونس، ص95.

بالمغرب الإسلامي عموما[1]، حتى وصفت في كتاب إفريقيا الشمالية في العصر القديم بـ:"عاصمة العلم والعرفان"[2]، ولا أدل على أنها عرفت حركة علمية واسعة والانشغال بطلب المعارف وتوافد طلبة العلم إليها من إلقاء هذا اللقب عليها.

كما شهدت بجاية نهضة علمية وفكرية هائلة خاصة خلال العصر الحمادي فقامت بها المدارس، والمعاهد، والمساجد، والزوايا، ونبغ بها جملة من العلماء والفقهاء والشعراء ومتضلعون في الفلسفة، وعلم التوحيد، ورياضيون مبتكرون من كل أنحاء العالم الإسلامي[3] ولا أدل على ذلك من عدد العلماء الذين ترجم لهم الغبريني في عنوان الدراية، كما اعتبرت مراكش مصدر إشعاع ثقافي كبير أنتج كبار العلماء وأهم المؤلفات، قصدها العلماء وطلبة العلم للتلقي عن علمائها، كما عمل المرابطون على بناء المدارس، والمساجد، كمدرسة الصابرين ومدرسة ابن تاشفين، ومسجد بن تاشفين، كما سعى الموحدون لبناء المدارس كبيت الطلبة، ومسجد الخليفة عبد المؤمن بن علي[4]، وعليه فإن كثرة المراكز العلمية وانتشارها وتنوعها يدل على نشاط الحركة العلمية ومن خلالها حركة التأليف وازدهارها.

---

1 . عبد الرحمن بن بوزيان،"محطات من التاريخ السياسي والحضاري لمدينة فاس منذ النشأة إلى بداية العهد الحمادي"، **مجلة قرطاس للدراسات الفكرية والحضارية**، جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة . الجزائر، المجلد:08، العدد:01، 2021م، ص ص 127 . 141، ص132.

2 . محمد محي الدين المشرفي، إفريقيا الشمالية في العصر القديم، ط4، دار الكتب العربية، لبنان، 1389هـ/1969م، ص 16.

3 . أبو العباس أحمد بن أحمد الغِبْرِيني، عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجايَة، ط2، تحقيق: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت . لبنان، 1979م، ص36.

4 . محمد هيمون، "مراكش حاضرة علمية"، **حوليات التاريخ والجغرافيا**، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة . الجزائر، المجلد التاسع:09، العدد:02، 30 . 12 . 2029م، ص ص 29 . 65، ص 30 . 40 .

أما القيروان فقد كثر فيها الفقهاء، والمحدثون، والشعراء، فأصبحت مركزا حضاريا لنشر الإسلام واللغة العربية، إضافة لمهمتها الأولى المتمثلة في تأمين عملية الفتح ومواصلته[1]، ونجد من المؤسسات التعليمية المساجد منها المسجد الجامع بالقيروان[2]، والمكتبات كمكتبة بيت الحكمة التي أنشأها إبراهيم الأغلبي[3] فتعتبر بذلك المساجد والكتاتيب أولى مراكز التحصيل العلمي، وأما المكتبات فهي تمثل أحد أهم مظاهر نشاط الحركة العلمية.

2 ـ حواضر العدوة الأندلسية:

فوجد بالعدوة الأندلسية طليطلة والتي اشتهرت بمراكزها العلمية والمتمثلة في كتاتيبها ومكتباتها ومساجدها كمسجد طليطلة، والذي يعتبر منارة العلم بشتى حقوله سواء الشرعية أوغيرها، وما ساعد على تصنيف الكتب ونسخها وجود مصنع لصناعة الورق بطليطلة، واعتناء الحكام بدعم التصنيف والجوانب العلمية[4]، كما عرفت قرطبة بأنها أكثر بلاد الأندلس كتباً، وأهلها أشدّ الناس اعتناء بخزائن الكتب، ووصل الأمر في عهد المستنصر أنه أصبحت متاجر الكتب هي أروج المتاجر، وحدث أنه إذا مات عالمٌ بإشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى

1 . مبارك بوطارن،" القيروان بوصفها أول حاضرة إسلامية في بلاد المغرب ودورها في الإشعاع العلمي"، **حوليات التاريخ والجغرافيا**، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة ـ الجزائر، 2019/12/30م، المجلد:08، العدد :02، ص ص:06 ـ 35، ص 12 . 13.

2 . المرجع نفسه، ص: 18 ـ 24.

3 . إبراهيم بن عطية الله بن هلال السلمي،"تاريخ مدينة طليطلة في العصر الإسلامي . دراسة تاريخية حضارية"، **(رسالة ماجيستير)**، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، السعودية، 1425/1424هـ، ص182.

4 . المرجع نفسه، ص 183 .

قرطبة حتى تباع فيها[1]، ما يدل على أن تجارة بيع الكتب ولوازمها كانت رائجة نتيجة لنشاط الحركة العلمية بقرطبة.

كما عرفت غرناطة نشاط الحركة العلمية خاصة في ظل حكم بني الأحمر فقد كان الطب والرياضيات والفلك من العلوم الأساسية التي تدرس في الجامع الأعظم فيها خاصة بعد سقوط كثير من المدن بيد الإسبان[2]، ومن العوامل التي ساعدت على تصنيف الكتب ونسخها وجود مصنع لصناعة الورق بغرناطة[3]، إذ تعتبر صناعة الورق إحدى أهم الوسائل التي سهلت عملية تدوين العلوم والمعارف ونسخها وطبعها.

وكذلك عرفت إشبيلية خصوصا في عهد الانقسام وقيام الممالك ـ والتي كانت خاضعة لحكم بني عباد ـ ازدهارا ونبوغا علميا، وكانت مقصدا للعديد من العلماء والأدباء بحيث ألقى هذا الازدهار بضلاله على كافة الأندلس، كما كان للتركة الحضارية التي تركها الأمويون في الأندلس الدور الكبير في البناء الثقافي على شاكلة ما قام به أبا علي القالي وتلامذته من جلب الكتب، ورواية الأخبار، والمؤلفات التي كتبها ككتاب تفسير القصائد، والمعلقات وتفسير إعرابها ومعانيها، وكتاب الأمثال[4]، وكذلك ابن القوطية وما أنتجه من مؤلفات مثل:"كتاب الأفعال"

---

1 . المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر- بيروت ـ لبنان، ص463.

2 ـ عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تح: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، ط2، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1978م، ص347.

3 . فايز عبد النبي فلاح القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ط1، 1409هـ/1989م، دار البشير، عمان . الأردن، ص64.

4 . ألبير حبيب مطلق، الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، المكتبة العصرية، صيدا . بيروت، 1967م، ص209.

ويسمى في بعض المصادر بتصاريف الأفعال، وكذلك كتاب"المقصور والممدود"[1]، فكثرة التآليف وتنوعها وتميزها تدل على الرقي العلمي والفكري والحضاري.

لم تعرف بلاد الغرب الإسلامي فقط ما سبق ذكره من الحواضر العلمية، وإنما تطرقنا لأكثرها شيوعا، وأغلبها تأثيرا في الفعل الحضاري والفكري، ولا يمنع أبدا من وجود حواضر سواء بالنسبة للعدوة المغربية على غرار ورجلان، وتونس، طرابلس...أو العدوة الأندلسية كجيان والزهراء وغيرها.

إن مما يلاحظ على أهم عوامل نبوغ العلماء المسلمين في أكثر من فن هو علو الهمة الذي فرضته التنافسية في جانبها الإيجابي الذي تميزت به بلاد الغرب الإسلامي في العصر الإسلامي الوسيط كظاهرة عامة انطبعت بها شخصية العلماء .

المبحـــث الثاني: موسوعية العلماء المسلمين:

لم يقتصر الواحد من علماء المسلمين بأن يكون مؤرخا أو فيلسوفا أو طبيبا أو عالما في الدين، بل تجاوزوا ذلك إلى النبع من مختلف العلوم وأنفقوا فيها الأوقات والأموال وفي بعض الأحيان حتى الأنفس، وإن كان علماء الإسلام قد اختصوا أكثر من غيرهم بهذه السمة، فإن علماء الفترة الإسلامية الوسيطة تميزوا بالكثرة، وفي أقطار مختلفة.

01 ـ العلماء الموسوعيون والتأليف الموسوعي: إن مفهوم الموسوعة مصطلح حديث لم تذكره المعاجم االقديمة، وإنما استخدمه المحدثون بمعنى كل كتاب شامل لأطراف العلوم

1 . ألبير حبيب مطلق، الحركة اللغوية في الأندلس، المرجع نفسه، ص170.

وأجزائها، وأغلب ما يلزم من معلومات وتعريفات[1]، بل ذكرته بعض المعاجم الحديثة على أنه مؤَلَّف يتضمن بيانا عن كل فروع المعرفة، أو كل ما وصلت إليه المعرفة عند نشره في فن أو علم معين ويرتب عادة ترتيبا هجائيا أو غير ذلك، وأن الموسوعة أو المعلمة أو دائرة المعارف بمعنى واحد[2]، فهي أعمال تقتضي الجمع بين معارف عديدة وتخصصات متنوعة خاصة المتداخلة فيما بينها في كتاب ضخم، كما توصف كذلك بأنها كتاب يفصل كليات علم أو فن وجزئياته، وترتب مواده حسب تقارب الموضوعات المعالجة وتداخلها، أو وفقا لتسلسلها الأبجدي[3]، وبذلك فأبرز ما يميز الأعمال الموسوعية هو كثرة المعارف وتنوعها.

وعليه فإن مفهوم الموسوعية لا يعني أبدا الإحاطة بكل العلوم، بقدر ما يعني اتساع دائرة المعرفة العلمية لعلوم متعددة، والعلماء الموسوعيون القدامى كانوا نابغين في أكثر من ثلاثة علوم، ولكنهم على دراية ومعرفة بسائر العلوم الأخرى، وهذا ما جعل مؤلفاتهم عميقة التناول موسوعية المعارف، جديدة في الإضافة العلمية[4]، ذلك كله دون أن يكون لهم علم أو معرفة بمصطلح الموسوعية أو حتى اتصافهم بها، بل كان كل اهتمامهم مرتبط بتحصيل العلوم والمعارف ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، كل بما وهبه الله عز وجل من مواهب وقدرات .

---

1 . محمد سيف الإسلام بوفلاقة،"الأعمال الموسوعية بالوطن العربي في ميزان البحث"، **مجلة التميز**، المركز الجامعي نور البشير، البيض ـ الجزائر، المجلد:03، العدد:01، السنة: 2021، تاريخ النشر: 15 ـ 03 ـ 2021 م، ص ص: 52 ـ 71، ص53.

2 . مجدي وهبه ـ كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2، مكتبة لبنان ـ بيروت،1984م، ص 396.

3 . محمد سيف الإسلام بوفلاقة، المرجع السابق، ص53.

4 . مصطفى عطية جمعة،"العالم بين التخصص الدقيق والموسوعي"، **شبكة الألوكة** https://www .alukah.net، تاريخ النشر:2016/07/30، ص ص 1 ـ 3، ص2.

قد أثر عن العلماء المسلمين القدامى غزارة التأليف في شتى العلوم والمعارف، ذلك لنباهة مداركهم، وتفتق عقولهم، وسعة اطلاعهم، وقد اتسمت تآليفهم بالموسوعية والتكاملية والشمولية فلم يقتصروا على فرع علمي خاص، وإنما الواحد منهم يطرق عدة مواضيع وقضايا متنوعة فتحمل في طياتها الشؤون السياسية، والأحكام الدينية، والظواهر الاجتماعية، والأحداث التاريخية، والقضايا الفلسفية، وغير ذلك من المناحي الحياتية والعلمية الأخرى، ما يضفي عليها طابع الاحتواء لمعظم صنوف العلم ومقاصده[1]، خصوصا فيما كان فيها متكاملا يخدم بعضه بعضا فلا يتصور علم فقه بدون علوم اللغة العربية وعلوم القرآن وعلوم الحديث مثلا.

ثم إن العلماء الموسوعيين على نوعين، الأول منهم الموسوعيون المبدعون، وهم من نبغوا في عدة علوم، وبعضهم ابتكر علوما جديدة، مثل الإمام الشافعي بتأسيس علم أصول الفقه، وهؤلاء يتميزون بسعة المعرفة وغزارة الإنتاج العلمي، والإضافة العلمية الحقيقية إما بتأسيس علوم جديدة أو بترسيخ وترتيب علوم موجودة، وكل هذا يتجمع في مؤلفات تمثل مراجع علمية، أما النوع الثاني فهم العلماء الموسوعيون المجمعون، فيجمعون وينسقون الإنتاج العلمي فيحفظوا من خلاله العلوم المتوافرة بجمعها في مجلدات وموسوعات[2]، ما يسهل عملية التعامل معها، والحصول عليها.

وقد يوظف العالم هذه الموسوعية التكاملية في مصنف واحد فيضَمّنُهُ نُتَفًا من سائر العلوم والمعارف المتداخلة كما فعل ابن خلدون في مقدمته، أو يجعل ذلك موزعا على عدة مصنفات، حيث يفرد لكل موضوع أو لكل فرع من الفروع العلمية مصنفا خاصا به، فتختلف المصنفات وتتنوع موضوعاتها لتكون في النهاية موسوعة شاملة لكثير من العلوم ذات النسق المعرفي

1 . إسماعيل عريف، المرجع السابق، ص2.

2 . مصطفى عطية جمعة، المرجع السابق، ص1 . 2.

المتكامل، كما نجد ذلك حاصلا عند ابن حزم[1]، على شاكلة "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، أو "الأخلاق والسير في مداواة النفوس".

2 ـ التأثر والتأثير المتبادل بين موسوعيي العدوة المغربية والعدوة الأندلسية:

ففي العهد الموحدي(515ـ668هـ/1121 ـ 1269م) ونتيجة للوحدة المذهبية والجغرافية والسياسية، مع مساهمة الخلفاء الموحدين في ازدهار الحركة العلمية بفتح قصورهم لاستقطاب الشعراء والأدباء واحتضانهم للنشاطات العلمية والأدبية ومالوا إلى دراسة مختلف العلوم، انتقل نتيجة لهذا الشغف علماء مغاربة إلى بلاد الأندلس ودرسوا علوما مختلفة، منهم أبو عبد الله بن عبد الحق بن سليمان اليعفيري التلمساني(536 ـ625هـ/1141ـ1227م) يعتبر من كبار الفقهاء في عصره، عارفا بالحديث ورجاله، مشاركا في علم الكلام، انتقل إلى إشبيلية وحدث بها[2].

كما برز عبد الرحمن ابن القاسم بن يوسف بن محمد بن المغيلي الفاسي، له معرفة بالقراءات والعربية، ومشاركة في الأدب، تصدر للإقراء والإسماع بغرناطة وأخذ عنه[3]، وأبو الفرج ابن المهاجر الفاسي، كان متصدرا للأصول والكلام والفقه والنحو وقام بتدريسها بإشبيلية، وعبد الله بن محمد بن ياسين، درس علم الجبر والرياضيات بإشبيلية، له تصانيف في الرياضيات منها أرجوزة في الجبر،

1 . مصطفى عطية جمعة، المرجع السابق، ص3.

2 . العيد بكري، العلاقات الثقافية بين الأندلس ودول المغرب بين القرنين (7 . 9 هـ) ، (**مذكرة ماجستير**)، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة ـ الجزائر، 1435ـ1436هـ/2014 . 2015م، ص17 . 18.

3 . ابن القاضي أبي العباس أحمد المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، ج2، دار المنصور للطباعة الوراقة، الرباط، المغرب، 1973م، ص397.

ودرس ابن أحمد الصنهاجي التاريخ والأدب بمرسية، وعبد الحق بن يوسف الصنهاجي درس القراءات والعربية والأدب بجيان[1].

أما في مجال الطب فقد استدعى عبد المؤمن بن علي(547 .558 هـ/1152.1162م) إلى مراكش أبو العلاء زهر بن عبد الملك بن زهر(ت595هـ/1198م) وجعله طبيبه الخاص حيث كان مهتما بصناعة الطب ووصف الأدوية، له كتاب الأغذية وكتاب الترياق السبعيني[2].

كما ظهر علماء رياضيون تولوا التدريس بالعدوتين أو بوضعهم مصنفات رياضية تم تداولها ببلاد المغرب والأندلس، منهم أبو عبد الله بن محمد بن حجاج (ت601هـ/1204م) انتقل إلى إشبيلية وزاول التدريس بها، له مصنفات في الرياضيات منها "تلقيح الأفكار برشوم الغبار" وأرجوزات في الجبر والحساب، كما سكن أبو الحسن علي بن محمد بن فرحون القيسي القرطبي (ت601هـ/1204م) بفاس وأقرأ بها الحساب، ومن تآليفيه "اللباب في مسائل الحساب"[3]، ووضع أندلسيون مؤلفات تاريخية للموحدين كـ "تاريخ الموحدين" ليوسف بن عمر الإشبيلي[4]، فظهر خلال الفترة الموحدية علماء كثيرون ومن خلالهم تعددت التآليف خصوصا في مجال العلوم الدينية.

أما في العهد الزياني(634 ـ 933هـ/1236 ـ 1554م) فكان لعلماء العدوتين خلال هذا العهد دور كبير في المجال العلمي فابن خطاب المرسي الأندلسي الكاتب والأديب المشهور

1 ـ العيد بكري، العلاقات الثقافية بين الأندلس ودول المغرب بين القرنين (7 ـ 9 هـ)، المرجع السابق، ص22.

2 ـ أحمد العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، مصر ـ القاهرة، ص178.

3 ـ المرجع السابق، ص38.

4 ـ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج1، ط3، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء ـ المغرب، 1993م، ص356 .357ـ

استعمل بالكتابة السلطانية بغرناطة ثم غادر إلى تلمسان، فعينه سلطانها يغمراسن بن زيان(634 ـ 681هـ/1236ـ1283م) كاتبا له فنقل خبرته إلى تلمسان فساهم في ازدهار الحياة الأدبية، والشاعر ابن خميس التلمساني(ت708هـ/1308م) الذي ولاه السلطان أبو سعيد بن يغمراسن(749ـ752هـ/1348ـ1352م) ديوان الإنشاء ولازم التدريس بالمغرب الأوسط ثم اشتغل بالتدريس في غرناطة هناك فساهم مساهمة فعالة في تنشيط الحركة الأدبية بها من خلال قصائده الكثيرة لاسيما في وصف موطنه الأصلي تلمسان[1]، وعليه فإن تلمسان خصوصا خلال عهد بني زيان شهدت حركة علمية وفكرية بارزة، هذا مرتبط أساسا بسلاطين الدولة الزيانية ونزعتهم العلمية والأدبية التي تميزوا بها.

كما كان عالم الأندلس الشهير أبو سعيد بن لب (700ـ781هـ/1301ـ1381م) كلما استصعب أمرا أو استشكلت عليه مسألة بعث إلى أبي عبد الله الشريف التلمساني(710ـ771هـ / 1310ـ 1369م) ليوضحها له، ثم إن لسان الدين بن الخطيب(713ـ774هـ/ 1313ـ1374م) كلما ألف كتابا بعثه إلى الشريف التلمساني ليعرضه عليه ويطلب منه الكتابة فيه بخطه، ويبدي فيه رأيه[2]، وهذا يعطينا صورة حقيقية عن العلاقات الثقافية والعلمية بين العدوتين ودرجة الثقة المتبادلة بين العلماء من أجل الاستدراك والتصحيح والتنبيه.

لا يمنع بحال من الأحوال أن باقي الدول التي قامت بالمغرب الإسلامي كالدولة الرستمية (160 ـ 296هـ/776 ـ 908م)، أوالدولة المرابطية (448ـ541هـ/1056ـ 1146م)، أوالدولة الحمادية(404 ـ 546هـ/1014 ـ 1152م)، وغيرها من الدول من أن

---

1 ـ عبد القادر بوحسون،"العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني (633 ـ 962هـ)"، (**رسالة ماجستير**)، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان ـ الجزائر، 1428 ـ 1429 هـ / 2007 ـ 2008م، ص145.

2 ـ المرجع نفسه، ص133.

يكون لها مساهمة في تنشيط الحركة العلمية، والفكرية ولو بنسبة معينة، إلا أننا اكتفينا في بحثنا هذا بأخذ عينة من الدول التي كانت علاقاتها ببلاد الأندلس وثيقة والتأثير كان متبادلا بدرجة أكبر.

إن لكل بقعة جغرافية وفترة زمنية ميزة تنبئ عن مدى تأثير الإنسان وحركته فيها بما يحدث من تغيير خصوصا على المستوى الفكري والمعرفي، ما يدل على مدى تطوره وتكيفه مع ظروف واقعه، وعليه فإن لبلاد الغرب الإسلامي بعدوتيه - المغربية والأندلسية - ورغم كثرة الأحداث على المستوى السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، إلا أن ميزة موسوعية علماء هذه الفترة لا يمكن لأحد أن يغفلها، والتي تندرج ضمن الفعل الثقافي، الذي محوره الأساسي حركة التأليف والإنتاج العلمي، ذلك كله بدافعين أساسين هما ترغيب الدين الإسلامي في العلم وتفضيل العلماء على غيرهم من أهل الفضل، والثاني هو علو الهمة والتنافسية التي كانت ميزة العصر الإسلامي الوسيط ببلاد الغرب الإسلامي.

الفصل الأول:

ابن حزم الأندلسي ونماذج من إنتاجاته العلمية:

المبحث الأول: التعريف بابن حزم الأندلسي:

1ـ مولده ونسبه.

2ـ نشأته وطلبه للعلم.

3ـ محنته ووفاته.

المبحث الثاني: نماذج من الإنتاج العلمي لابن حزم الأندلسي:

1ـ العقيد والأديان والفكر.

2ـ الفقه وأصوله.

3ـ التاريخ والسير والأدب والنفس وأحوالها.

عرفت بلاد الأندلس مجموعة معتبرة من العلماء الموسوعيين الذين ذاع صيتهم في العالم أجمع ولا أدل على ذلك من ترجمة كتبهم إلى لغات عديدة، ومن النماذج الذين عرفتهم بلاد الأندلس ابن حزم الأندلسي.

المبحث الأول: التعريف بابن حزم الأندلسي:

01 ـ مولده ونسبه:

هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد، كنيته أبو محمد، الأندلسي القرطبي، وكان جده خلف بن مَعدان هو أول من دخل الأندلس في زمن ملك الأندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام[1] المعروف بالداخل(206 ـ 238هـ/821 ـ 852م)[2]، وهذا يدل على عراقة هذه الأسرة في بلاد الأندلس.

كان ابن حزم شديد الولاء لبني أمية يوالي من والاهم، ويعادي من عاداهم، وقد رحل جده الأعلى ـ خلف ـ مع البيت الأموي إلى الأندلس، وقد نزلت أسرته في "لبلة" غرب الأندلس، وقد كان لهم شأن منذ أن نزلوا بالأندلس، حتى قيل:"بنو حزم فتية علم وأدب، وثنية مجد وحسب، فلهم رفعة العلم، ورفعة الجاه والمجد"[3]، وفي هذا إشارة إلى أنه نشأ في بيت عريق بالمجد والشهرة والتنعم الواسع.

---

1 ـ عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك، المعروف بالداخل، ثاني ملوك بني أمية بالأندلس، نشأ بالأندلس لكونه ولد بها، وأمه جارية إسبانية، فهو من المولدين(أنظر:أمينة حاج شيخ، الدولة الأموية في عهد هشام ابن عبد الرحمن بن معاوية(**ماستر**)، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2019/2018م، ص26.

2 ـ شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ط1، تح:شعيب الأرناؤوط ـ محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، 1405هـ/1984م، بيروت ـ لبنان، ص184.

3 ـ أحمد أبو زهرة، ابن حزم حياته وعصره ـ أراءه وفقهه، دار الفكر العربي، القاهرة ـ مصر، 1373هـ/ 1954م، ص 22 ـ 23.

ولد ابن حزم في الجانب الشرقي، في ربض منية المغيرة بقرطبة، آخر ليلة الأربعاء آخر يوم من شهر رمضان المعظم، وهو اليوم ال07 من نوفمبر سنة (384هـ/959م)[1]، هذا المولد الذي كان سببا في منتوج علمي أثقل الخزانة المعرفية بجملة من المؤلفات.

02 ـ نشأته وطلبه للعلم:

تربى ابن حزم قبل سن الشباب في حجور الجواري، ونشأ بين أيديهن، وعلمنه القرآن وروت له الكثير من الأشعار، ودربنه على الخط[2]، نشأ في تنعم ورفاهية، ببيت عز ومال، وجاه عريض، وكان يعتز ببيته، ويعتز بأنه طلب العلم لا يبغي منه مالا ولا جاها[3]، وفي هذا دليل على أنه لم يكن ذا حاجة لمال ولا لجاه، بل قد تحققا له، على خلاف من يطلب العلم للتكسب والجاه، ورزق ذكاء مفرطا، وذهنا وَقَّادًا، وكتبا نفيسة ما أهله لأن يكون فقيها، وحافظا، ومتكلما، وأديبا،كان في بداياته ماهرا في الأدب والشعر والأخبار، وفي المنطق والفلسفة، ليصبح بعدها رأسا في علوم الإسلام، متبحرا في النقل، أدى به اجتهاده بعد ذلك إلى القول بنفي القياس[4]، والأخذ بظاهر النص وعموم الكتاب والحديث[5]، طبعا هذا فيه تعطيل لباب الاجتهاد، لكن لعل لابن حزم ما يبرر له هذا الموقف باعتبار الظروف المحيطة دينية كانت أو سياسية.

ودرس ابن حزم مذهب الشافعي(ت204هـ/820م)، وتعمق في دراسته وتعصب له، ثم انتقل الى مذهب الظاهرية، ودرس فقه المالكية والموطأ، وقام بتنقيح مذهب داود الأصفهاني

---

1 . بن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ط2، تح: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، 1374هـ/ 1955م، ص395 ـ 396.

2 . ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة في الألفة والألاف، تح إحسان عباس، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ـ لبنان، 1987م، ص166.

3. مصدر من مصادر التشريع يعني إلحاق أمر غير منصوص على حكمه، بأمر آخر منصوص على حكمه لعلة جامعة بينهما، أنظر محاضرات في تاريخ التشريع الإسلامي لمحمد حسين مقبول، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون ـ الجزائر، 1994م، ص65.

4 . أحمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص25.

5 . الذهبي، المصدر السابق، ج18، ص185.

ووضع الكتب في بسطه وتفسيره، واتخذ لنفسه بعدها مذهبا خاصا وآراء تفرد بها ـ المذهب الظاهري ـ، كما كان ابن حزم بعيدا عن المصانعة ما جعله كثير النقد لمن ترجح عنده أنه على غير صواب[1]، وهذا طبعا لا يتحقق إلا لمن كان علمه قد بلغ درجات عالية، فتحصل له تلك الملكة التي يؤسس من خلالها مواقف، وآراء بغض النظر عن مدى صحتها من عدمه.

تثقف ابن حزم في ظل الحياة الهنيئة بما يتثقف به الناشئ في وسط بيوت الأمراء والوزراء فحفظ القرآن وقدرا من الشعر، واتجه إلى أفاضل الشيوخ[2]، فكان قد صحب القاضي أبا الوليد الباجي(ت474هـ/1081م) بسرقسطة، وأخذ عنه مسائل الخلاف، وسمع منه وأجازه، وقرأ الفرائض والحساب بوطنه، كما تفقّه عند أبي بكر الشاشي(ت507هـ/1114م)، وأبي محمد الجرجاني(ت489هـ/1096م)، وسكن الشام مدّة ودرس بها، وكان راضياً باليسير[3]، وممن تتلمذ عليه وروى عنه أبو عبد الله الحميدي (488هـ/1095م)صاحب "جذوة المقتبس" وروى عنه ابناه يعقوب والمصعب، ونشر علمه ولده أبو رافع، وتتلمذ له أيضا الوزير الإمام أبو محمد المغربي[4]، وهكذا هو ديدن العلماء يبذل في تحصيل العلم جهده، منتفعا منه ونافعا به.

ناظر ابن حزم الباجي يوما فقال:"أنا أعظم منك همّة في طلب العلم، لأنّك طلبته وأنت معان عليه تسهر بمشكاة الذهب وطلبته وأنا أسهر بقنديل بائت السوق"[5]، فقال ابن حزم:" هذا الكلام عليك لا لك، لأنّك إنّما طلبت العلم وأنت في تلك الحال رجاء تبديلها بمثل حالي،

---

1 . شمس الذهبي، المرجع السابق، ج18، ص186.

2 . أحمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص27 ـ 28.

3 . المقري التلمساني(ت: 1041هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ج1، ط1، تح: إحسان عباس، دار صادر- بيروت ـ لبنان، 1997، ص88.

4 . ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تح: لجنة من العلماء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لينان، 1403هـ/1983م، ص4.

5 . يريد أنه يسهر على قنديل الدراب وهو الحارس الليلي وسماه "بائت السوق" لأنه يبيت فيه للحراسة، المقري، نفح الطيب، ج2، ص77.

وأنا طلبته في حين ما تعلمه وما ذكرته، فلم أرج به إلاّ علوّ القدر العلمي في الدنيا والآخرة"[1]، وفي هذا دلالة على قوة منطقه، وإعمال واسع لذهنه، وفصاحة لسانه، وقدرته على المناظرة والمواجهة.

اجتمعت في ابن حزم مواهب وسجايا وأخلاق مميزة من أهمها حافظته القوية المستوعبة، وبديهة سريعة حاضرة، تسعفه بالمعلومات الشاردة وقت الحاجة إليها، وقوة ملاحظته وقدرته الاستدلالية الهائلة فقد حفظ الحديث، ورتب مصادره، وحفظ سير الأولين، فكان بذلك راوية أمينا، ومحققا نزيها، ومؤرخا واسع الأفق، مع الصدق والضبط، عميق التفكير، والبحث عن الحقائق، ذكيا، فكان لا يكتفي بالاستقراء والإحصاء، حتى يعرف كل مسألة ليعرف أسرارها بعد ذلك، وبواعثها، ودوافعها، على غرار مؤلف "طوق الحمامة" ففيه يرد الظواهر إلى بواعثها النفسية محاولا الكشف عن الحقائق النفسية التي تسير الإنسان في عواطفه، كما عالج في رسالته"مداواة النفوس" ما يعالج الأخلاق الفاسدة في النفس، والطبائع القبيحة فيها[2]، موظفا فيها ما قد تبلور لديه من أفكار ناتجة عن الثروة المعرفية التي اكتسبها سواء من التراث الإسلامي، أو غيرها من العلوم الوافدة كالفلسفة اليونانية.

لابن حزم أولادا عديدين، منهم الفضل أبو رافع، وأبو سليمان المصعب، وأبو أسامة يعقوب، عمل هؤلاء الثلاثة من بعد أبيهم على نشر أفكار والدهم، إذ كانوا من الأدباء والعلماء وكان أبو الفضل أشهرهم[3]، فكانوا بذلك من الأسرة العلمية التي تعتبر ظاهرة تفردت بها الحضارة الإسلامية، والتي كان لها باع كبير في ازدهار العلوم التي ساهمت في نهضة المجتمع الإسلامي.

---

1 . ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب (المصدر السابق)، ج2، ص77.

2. حفيظة طالب،"مؤلفات ابن حزم الأندلسي"، **المجلة الجزائرية للمخطوط**، جامعة أحمد بن بلة، وهران ـ الجزائر، المجلد:05، العدد:06، 30ـ06ـ2009م، ص ص 148 ـ 158، ص153.

3 . المرجع نفسه، ص 152.

03 ـ محنتـه ووفاتـــه:

ضاقت الأندلس بابن حزم ولسانه وقلمه أوبالأحرى ضاق الأمراء بذلك ذرعا، وكذلك صدور بعض الفقهاء ومن يناصرونهم فأحرقت كتبه في عهد المعتضد[1]، ذلك بسبب تأليب الفقهاء عليه، وتحريضهم الأمراء وشكواهم من أنه يهاجم مالكا، والأئمة الأربعة، ويخرج على الناس بفقه ليس له صلة بفقه الأربعة، ما أنزل بابن حزم عقوبة نفسية شديدة[2]، فنهوا عوامهم عن الدنو إليه والأخذ منه، فأقصته الملوك وشردته عن بلاده[3]، كان قد برص نتيجة لأكل نبتة اللبان[4]، وتوفي ببادية لبلة في بلاد الاندلس[5]، بعيدا عن موطنه عشية يوم الأحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة (456 هـ/1064م)[6] ـ رحمه الله تعالى ـ .

إن الأجواء التي تربى فيها ابن حزم الأندلسي، من وسع في المسكن، ورفعة في الجاه، وسعة في المال، مع عيشه في قصر البلاط هذا كله جعله يحفظ القرآن وبعض الشعر على أيدي جواري القصر، هذا ما فتح نهمه لطلب العلم، وحبه للتأليف فلم يدع مجالا ولا فنا إلا وبحث فيها، ما أكسبه التميز في عدد المصنفات والتآليف، ما لا ينافسه فيه أحد سواء في بلاد الأندلس خاصة، والعالم الإسلامي قاطبة سوى الإمام الطبري، فكان بذلك أكثر علماء الإسلام تأليفا بعد الطبري، حيث لامست مؤلفاته الفقه، والتاريخ، والأدب، ومقارنة الأديان وغيرها من الفنون، فكان أعظم من ساهم في الرقي الثقافي، والسمو الحضاري، والتوسع الفكري الذي لا زال يشع في كامل العالم الإسلامي.

---

1. المعتضد: هو ابن القاضي أبي القاسم محمد ابن إسماعيل بن عباد اللخمي، والقاضي هو الذي أنشأ ملك بني عباد إذ اختاره أهل إشبيلية أميرا عليهم في عهد بني حمو عندما ضعفوا (أنظر محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص49).

2ـ محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص49 ـ 51.

3 . ابن خلكان البرمكي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج3، المصدر نفسه، ص327 ـ 328.

4. شمس الذهبي، سير أعلام النبلاء(المرجع السابق)، ج18، ص185.

5. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ط1، تح: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، 1403هـ/1983م، ص3.

6. بن بشكوال، المصدر السابق، ص395 ـ 396.

الحقيقة أن الباحث في مجال الشخصيات العلمية والمعرفية لا يمكن أن يهتم بجانب من تآليف ابن حزم حتى يجد نفسه في جانب آخر قد استقطبه هذا لتنوع الذي عرفته الخزانة العلمية والمعرفية لابن حزم.

المبحث الثاني: نماذج من الإنتاج العلمي لابن حزم:

يعتبر ابن حزم حامل لواء التراث والمنتوج العلمي الأندلسي، الذي انتفعت به البشرية قاطبة، فهو فقيه وأصولي، ومؤرخ وأديب، وحافظ ومناظرا، ومجدد ومحقق، ومن جملة ما ألف نذكر ما يلي:

1ـ في العقيدة والأديان والفكر:

إن ابن حزم ومن خلال تطرقه لمناقشة كثير من المسائل العقدية والردود على أصحاب الفرق والديانات يعكس حدة ذكائه، وسعة اطلاعه، وتنمية ملكة النقد المنطقي والفكري عنده، المبني على الحجاج الصحيح، أهله ذلك كله لأن يبرع في ما يلي من المؤلفات:

أ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل:

وسبب تأليف هذه الموسوعة في مقارنة الأديان والفرق أن ابن حزم رأى أن من سبقه في التأليف فيه إما مطيل مسهب ما يشغل عن الفهم، وإما مختصر فيظلم المخالف ويبخس حق القارئ في معرفة مقاصد الكلام، ذلك بتعقيد الكلام فيتعذر فهمه، فدعاه ذلك إلى جمع البراهين والتأكد من صحتها، مع المبالغة في بيان اللفظ، وترك التعقيد ليصل بالقارئ إلى الفكرة التي يريد الإقناع بها بناء على الدليل الصحيح[1]، وكأن ابن حزم سبق غيره في التأليف فيما يسمى حديثا بالفكر الإسلامي بمختلف فروعه .

---

1 . ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل،ج1، ط2، تح:محمد إبراهيم نصر ـ عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت ـ لبنان، 1416هـ/1996م، ص35 ـ 36.

كما يعتبر ابن حزم الأندلسي واضع علم التاريخ المقارن للأديان، فوظف بذلك هذا المنهج لخدمة الدين الإسلامي إقرارا ودفاعا، وبيان بطلان باقي الديانات بسبب ما لحق كتبها من تحريف وتزييف، وهذا لا يكون إلا نتيجة لتدخل العقول البشرية في نصوص الوحي، حيث أظهر ابن حزم قدرة واسعة في مقارنته للفرق والديانات مستعملا المنهج النقدي، فسبق عصره في هـذا الميدان[1]، ذلك لسعة اطلاعه، وحدة ذكائه، وقوة حفظه.

ب ـ التقريـب لحـد المنطــق:

ألف ابن حزم كتاب التقريب لحد المنطق بسبب أنه سمع بعضا ممن يقول في المنطق والعلوم الفلسفية عامة دون تحقيق، وأولئك هم الذين عناهم بقوله:" ولقد رأيت طوائف من الخاسرين شاهدتهم أيام عنفوان طلبنا، وقبل تمكن قوانا في المعارف، وأول مداخلتنا صنوفا من ذوي الآراء المختلفة، كانوا يقطعون بظنونهم الفاسدة من غير يقين أنتجه بحث موثوق به، على أن الفلسفة وحدود المنطق منافية للشريعة "[2]، فهو بهذا الموقف ينكر على من عارض الفلسفة والمنطق، وقال بتحريمها.

ولعل بيئة قرطبة والأندلس عامة ـ يومئذ بمعاداتها لعلوم الأوائل ـ هي التي حفزت حب الاستطلاع لديه فجعلته يدرس الفلسفة والمنطق، ومن ثم قوي لديه الشعور بأن العلوم الفلسفية لا تنافي الشريعة، وكان اتجاهه إلى مجادلة أهل المذاهب والنحل الأخرى يفرض عليه أن يتدرع بقوة منطقية في المناظرة والجدل، وهاتان الغايتان كانتا من أولى العوامل التي حَدَت به إلى التأليف في المنطق ليثبت عدم التنافي بينه وبين الشريعة، وليعزز به موقفه

---

1 . بوشريط المحمد، "ابن حزم ومقارنته للأديان من خلال كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل، الوحدانية في ميزان المسيحية واليهودية"، **مجلة مواقف**، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر ـ الجزائر، 14ـ04ـ2008م، المجلد:2، العدد: 1، ص ص 109 ـ 120، ص117.

2 . ابن حزم، التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، ط1، تح:إحسان عباس، دار مكتبة الحياة، بيروت ـ لبنان، 1900م، ص3 (نقلا عن المحقق) .

العقلي إزاء الخصوم ويضع فيه القواعد الصحيحة للجدل والمناظرة[1]، واضعا بذلك أهداف دراسة علم المنطق وعلم الكلام وأهميته كرافد آخر خدمة للدين ودفاعا عنه، هذا كتبرير لمخالفته من رأو بتركه، وحتى من قال بتحريمه.

ت ـ مراتـــب العلـــوم:

حيث صنف ابن حزم في هذا المؤلف العلوم وحصرها في اثني عشرة علما هي: علم القرآن، وعلم الحديث، وعلم المذاهب، وعلم الفتيا، وعلم المنطق، وعلم النحو، وعلم اللغة، وعلم الشعر، وعلم الخبر، وعلم الطب، وعلم العدد والهندسة، وعلم النجوم[2]، وهذا التصنيف اعتمده ابن حزم مخالفا بها بعض التصانيف الأخرى مثل تصنيف ابن خلدون للعلوم مثلا.

كما نجد أن ابن حزم يوضح مراتب العلوم حسب الأولويات التربوية؛ وهو ما يفهم من رسالته في "مراتب العلوم"، التي دعا فيها إلى التدرج، وتلقين الحد الأدنى للطالب، ملحا على أهمية سبعة من العلوم بشكل خاص، علم القراءات، وعلم الحديث، وعلم النحو، وعلم اللغة وعلم الشعر، وعلم الحساب، وعلم الطب[3]، ولم تشمل الرسالة فقط تصنيف العلوم وإحصائها وإنما تعرض فيها لأهم القضايا المتعلقة بالعلم كالتكسب به، وطلبه للتفاخر، والتزام تعلمه من أستاذ واحد وغيرها من الآداب التي ينبغي أن يتصف بها مريد العلم[4]، ذلك كله في إطار تربوي يراد منه تحقيق المنافع للناس.

1 . ابن حزم، التقريب لحد المنطق، المصدر السابق، ص4 (نقلا عن المحقق).

2 . ابن حزم، رسائل ابن حزم، ج4، تح: إحسان عباس، نفس المصدر، ص21 ـ 22 (نقلا عن المحقق).

3 . المصدرنفسه، ج4، ص23.

4 . المصدر نفسه، ج4، ص27.

2ـ فـي الفقــه وأصولــه:

إذ يعتبر الفقه وأصوله من أعظم العلوم الشرعية وأكثرها فائدة، وأصله النظر في الأدلة الشرعية من حيث استباط الأحكام والتكاليف، إذ أن أصول الأدلة الشرعية هي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ثم إجماع الصحابة[1] ـ رضي الله عنهم ـ إذ يعتبر التعامل مع ظواهر النصوص ميزة أساسية في استنباط الأحكام الشرعية في فكر ابن حزم الفقهي والتأصيلي فكان مما ألف نذكر:

أ ـ رسالـة فـي المفاضلـة بيــن الصحابــة ـ رضي الله عنهم ـ :

وقد التزم ابن حزم في هذه الرسالة بترتيب أفكاره ترتيبا منطقيا محكما[2]، في أبواب الأول منها في بيان الفضل والمفاضلة وأساسه[3]، أما الثاني فقد ضمنه فضل أزواج النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ على سائر الصحابة[4]، والثالث تناول فيه أفضل الصحابة بعد أزواج النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ[5]، وختم هذه الرسالة بأن أساس التفاضل هو العمل، وأنه لا ينتفع بالأرحام، وأنه لا فرق بين الناس جميعا، ولا كرامة ولا فوز إلا بالتقوى[6]، وهذا مصداقا لقوله تعالى﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ**﴾ [7]، فأساس التفاضل هو التقوى، ولا يوجد أتقى من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بعد الأنبياء ـ عليهم السلام ـ .

---

1 . ابن خلدون، المقدمة، ص 435.

2 . ابن حزم الأندلسي،رسالة في المفاضلة بين الصحابة،تح:سعيد الأفغاني،المطبعة الهاشمية، دمشقن ـ سوريا، 1359هـ/1940م، ص157.

3 . المصدر نفسه، ص169.

4 . المصدر نفسه، ص 185.

5 . المصدر نفسه، ص230

6 . المصدر نفسه، ص 279 .

7 . سورة الحجرات: الآية، 13.

ب ـ تفسير ألفاظ تجري بين المتكلمين في الأصول:

تعد هذه الرسالة تجربة لغوية رائدة عنده في الحقل المعجمي الخاص بأهل النظر وتشمل عملا إبداعيا أسس لطبيعة الفكر الموسوعي لابن حزم، وذلك لما حوته من ألفاظ هي في غاية الأهمية في مجالات علمية متنوعة، ففي الديني نجد مثلا: النبوة، والإيمان، وفي القرآن نجد النص والتأويل، وفي الفقه نجد الاستنباط، القياس، والاجتهاد، وفي اللغة نجد العموم والخصوص، وفي علم البلاغة نجد الكناية المجاز، والفلسفة نجد الاستدلال، وفي الأخلاق نجد الصدق والكذب، ونجد كذلك الحق والباطل[1]، وهذا ما يدلل على أن ابن حزم كان متقنا ومجيدا لكثير من العلوم، ومن هذه العلوم ضبط المصطلحات الأصولية والتي عليها تبنى الأحكام الفقهية.

ج ـ الإحكام في أصول الأحكام:

هو مؤلف علمي مليئ بمناقشة الأفكار على أساس الحجج والبرهان، القائمة على الدليل الصحيح الصريح، ويذهب في هذه الموسوعة إلى أن من لم يأت على قوله بحجة فهو مبطل مفتر على الله تعالى، وكاذب عليه عز وجل، وأنه لا يفلح إذا قال قولة لا يقيم على صحتها حجة، وأنه يلازم البحث وقطع العمر في طلب تصحيح الحجة، واعتقاد الأدلة قبل اعتقاد مدلولاتها[2]، كما يعتبر هذا الكتاب موسوعة في أصول الفقه الظاهري، ويظهر ذلك من خلال عناوين أبوابه والمصطلحات المستعملة فيه، ونذكر على سبيل المثال منها إثبات حجة العقل وكيفية ظهور

1 . محمد بن عمر،"التجربة المعجمية في فكر ابن حزم الأندلسي"، **مجلة الأثر**، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة ـ الجزائر، 01 ـ 05 ـ 2004م، المجلد:03، العدد:03، ص1 ـ 8، ص 1 ـ 5.

2 . ابن حزم الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام، ج1، تح: الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت ـ لبنان، ص20.

اللغات، وصفة طلب الفقه[1]، وإبطال القياس[2]، والمتشابه في القرآن والمحكم[3]، والإجماع[4]، وذم الاختلاف والنهي عنه[5]، وهنا تتضح شخصية ابن حزم في مجال التأليف في الفقه وأصوله .

د ـ التخليـص لوجـوه التلخيـص:

"التخليص لوجوه التلخيص" هو في الحقيقة مجموعة من الأسئلة التي بعث بها بعض أصدقائه إليه، وبعد ضم ابن حزم بعضها لبعض عند التشابه لخصها في ثمانية أسئلة يتعلق سبعة منها على ما يخرجهم من الفتنة بعد سقوط الدولة الإسلامية في الأندلس، وارتكاب الكبائر والفواحش، والبعد عن الدين الصحيح، عدا سؤال واحد يتعلق بأمور الآخرة وهو صحة حديث النزول ـ نزول الله عز وجل في الثلث الأخير كل ليلة ـ فإنه متعلق بأمور العقيدة[6]، ليظهر ابن حزم براعة أخرى في التأليف في مجالات علمية ومعرفية أخرى في الفقه والعقيدة والمعاملات والأخلاق.

فأظهر بهذا ابن حزم بهذا علما جما، وسلاسة بينة بين ما هو مبني على المروي كقوله:" فإن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن، وعلق قائلا وهذا الأجر لا يحقره إلا مخذول"[7]، وما جادت به قريحته فقال:"فاعتمدوا على نص ما نص لكم عن نبيكم عليه السلام، ودعوا كلام الفساق من أهل الجهل الذين يفسدون في الأرض أكثر مما يصلحون"[8]، ففيه ما يجب على المرء التزامه، ولا يخرج كتابه عن نصحه بترك كبائر الذنوب والفواحش، والتزام ما يحقق الفوز يوم

---

1 . ابن حزم الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام، ج1، المصدر نفسه، ص10 ـ 12.

2 . المصدر نفسه، ج1، ص77.

3 . الصدر نفسه، ج4، ص121 .

4 . المصدر نفسه، ج4، ص128 .

5 . المصدر نفسه ج5، ص64.

6 . ابن حزم، التخليص لوجوه التلخيص، ط1، تح: عبد الحق التركماني، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان، 1423هـ/2003م، ص 11 ـ 12.

7 . المصدر نفسه، ص 100.

8 . المصدر نفسه، ص 112.

القيامة من ذكر يضاعف الحسنات وفوائد التوبة والرجوع إلى الله عز وجل وتطهير اللسان مما يلوثه، وغير ذلك من العمل الصالح الذي لا ينبع إلا من عالم فقيه.

3ـ في التاريخ والأدب والنفس وأحوالها:

اهتم ابن حزم بهذا النوع من التأليف باعتباره الرافد الأساسي الذي لولاه لما بلغنا الكثير من الموروث العلمي والتآليف، فتضيع معه كثير من الحوادث وأحوالها، والشخصيات ومنجزاتها كما اهتم كذلك باللغة والأدب، باعتبارهما وعاء الفهم وتوسيع المدارك، يعطي العقل مجالا أوسع للتأمل والمقارنة والتحليل، مع معرفة النفس وأحوالها، ومعرفة احتياجاتها، فكان مما ألف نذكر ما يلي:

أ ـ نقط العروس في تواريخ الخلفاء:

وقد سماه صاحب نفح الطيب بـ:"نقط العروس في نوادر الأخبار"[1]من دون تنسيق ولا تنظيم، فعرج على ألقاب الخلفاء الراشدين، ثم ألقاب العباسيين كالسفاح والذي كان اسمه أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب[2]، وألقاب الأمويين بالمشرق، كمروان بن الحكم حيث ذكر أن لقبه المؤتمر بالله، ومعاوية بن أبي سفيان وأن لقبه الناصر لحق الله[3]، وهذا مايؤكد ملكة الحفظ عند ابن حزم الأندلسي، وتلك الدرجة العالية من الفهم والنباهة وحدة الذهن، وعليه فنقط العروس رسالة نفيسة فيما ألف من تواريخ الخلفاء، وذكر بعض ما تعلق بأحوالهم وشخصياتهم.

---

1 . المقري، نفح الطيب، ج3، تح:إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان ، 1997م،ص182.

2 . ابن حزم،نقط العروس،ج2، ط1، تح:إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت . لبنان، 1987م، ص48.

3 . المصدر نفسه، ج2، ص4 ـ 6.

كما أشار في رسالته إلى من ولي الخلافة بعهد ومن وُليَاها بمشاورة، ومن وُليَها مغالبة[1]، كما تطرق كذلك لمن كان مسرفا منهم، ومن كان أديبا وشاعرا[2]، ومن ولي منهم صبيا[3]، وعموما فإن رسالة نقط العروس هي رسالة تم فيها وصف للخلفاء والولاة، وما تعلق بالخلافة الإسلامية وأصحابها وأسمائهم وصفاتهم، وأعمارهم عند الخلافة، وأخلاقهم، مع ذكر بعض أحوالهم وغيرها.

ب ـ جمل فتوح الإسلام:

فذكر فيها أصحاب الفتوح من الخلفاء، كأبي بكر الصديق(11 ـ13هـ/632 ـ 634م)، وعمر بن الخطاب(13ـ23هـ/634ـ644م)، وعثمان بن عفان (23ـ25 هـ/644ـ656م)، وعلي بن أبي طالب(35 ـ 40 هـ/656 ـ 661م) ـ رضي الله عنهم ـ كما ذكر كذلك فتوح مصر(02هـ/623م)، وفتح كل من اليمامة(11هـ/632م) وأذربيجان(02هـ/642م)، وأرمينية(31هـ/651م) وغيرها[4]، ونذكر على سبيل المثال أسلوبه في سرد سير الفتح، فمثلا ذكر فتح صقلية(246هـ/860م)، فقال: كان من طرف أسد بن الفرات(ت213هـ/828م)، أيام بن الأغلب سنة(212هـ/827م)[5]، وبدأ رسالته بفتح اليمامة[6]، واختتمها بفتح بلاد السودان (641هـ/1243م)[7]، وهنا يظهر مجال آخر برع فيه ابن حزم تمثل في توثيق التواريخ والأحداث ما يكسبه صفة الموسوعية بحق.

---

1 . ابن حزم، نقط العروس،ج2، المصدر السابق، ص31 ـ 32.

2 . هو جعفر المقتدر وكان لم يكمل 11 سنة بعد، (نقط العروس، ج2، ص 47، المصدر السابق).

3 . المصدر السابق، نقط العروس، ج2، ص48 ـ 56.

4 . ابن حزم، رسالة جمل فتوح الإسلام،ج2، ط2، تح:إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ـ لبنان، 1987م،ص125 ـ 127.

5 . ابن حزم، رسالة جمل فتوح الإسلام، المصدر السابق، ص129.

6 . المصدر نفسه، ص33.

7 . المصدر نفسه، ص133.

ت ـ أسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم:

هذه الرسالة تقتصر على ذكر الخلفاء من بني أمية بالمشرق وبني العباس، وذكر الولاة فيها لا يعني أبدا العمال وإنما يعني الخلفاء أنفسهم، وحرص ابن حزم بذكر الخليفة وتاريخ استخلافه، وتاريخ وفاته وتحديد مدته بالسنوات، والأشهر والأيام، وعمره واسم أمه وأهم الأحداث في زمنه[1]، بدأ فيه من خلافة أبي بكر الصديق(11 ـ 13هـ) ـ رضي الله عنه ـ إلى خلافة القائم بأمر الله عبد الله (422هـ/1031م)، وهو تاريخ كتابة ابن حزم لهذه الرسالة[2]، وعليه فهذا الكتاب حتى وإن كان رسالة فهو إشارة قوية إلى تلك السمة الموسوعية التي امتاز بها ابن حزم ذلك أن حفظ التواريخ، واسترجاعها يحتاج قوة حفظ واسعة ووسع في المعارف.

ث ـ جوامع السيرة النبوية:

تطرق فيه ابن حزم لسيرة محمد بن عبد الله، نسبه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومولده ومعجزاته وبعثته، وصفاته وأسمائه، وكُتّابه وأزواجه وأبناؤه، والمعراج، وأخلاقه وغزواته، وغير ذلك مما ثبت من سيرته[3] ـ عليه الصلاة والسلام ـ وإن دل هذا فإنما يدل على الاطلاع الواسع، والحافظة القوية التي تمتع بها ابن حزم.

ج ـ أصحاب الفتيا من الصحابة والتابعين ومن بعدهم على مراتبهم في كثرة الفتيا:

وقد اعتمد في هذا التأليف منهجا في ترتيب الصحابة والتابعين، مبني على الزمان، ويتلخص هذا المنهج في ما يلي: طبقة الصحابة، ثم طبقة التابعين وهم أقسام أهل مكة ثم بعدهم أهل

1 . ابن حزم، أسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم،ج2، تح: إحسان عباس، ص33.

2 . المصدر نفسه، ص137.

3 . ابن حزم، جوامع السيرة النبوية، تح: عبد الكريم سامي الجندي، ط02، 2003 م/1424هـ، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ص 29.

المدينة ويليهم أهل البصرة، ثم أهل الكوفة، وبعدهم أهل الشام، وآخرهم أهل مصر، لتلي طبقة التابعين طبقة أصحاب مالك، ثم طبقة أصحاب أبي حنيفة، ثم أصحاب الشافعي، ثم طبقة الماثلين إلى أحد الأئمة في الفتيا(مالك أو أبي حنيفة أو الشافعي)، وفي الأخير سرد طبقة العلماء على اختلاف أقطارهم إلى أن وصل إلى زمانه[1]، فمفهوم الموسوعية المبني أساسا على الكم المعرفي، والقيمة العلمية للمنتوج الفكري، قد حق لابن حزم بأن يوصف به، ذلك لتنوع التأليف عنده، وكثرته وتعدد مجالاته.

ح ـ طـوق الحمامــة فــي الألفــة والألاف:

كتاب "طوق الحمامة" يعتبر أدق ما كتب العرب في دراسة الحب العفيف ومظاهره وأسبابه، حيث حضي بكثير من الدراسات على مستوى مناقشات رسالات الدكتوراة أوالماجيستير، وأخذت حظها من التحليل والدراسة الأدبية والإنسانية، وحتى على مستوى شخصية مؤلفها[2]، وما يدل على البعد الإنساني فيه هو حجم الترجمات التي تعرضت له كالفرنسية، والألمانية، والانجليزية والإسبانية[3]، وقد قرر ابن حزم تأليف هذه الرسالة حينما كان مقيما بشاطبة سنة (417هـ/1027م)، بعد أن طلب أحد أصدقائه كتابة هذه الرسالة فأجابه قائلا:"وكلفتني أعزك الله أن أصنف لك رسالة في صفة الحب ومعانيه، وأسبابه وأعراضه، وما يقع فيه، وله على سبيل الحقيقة لا متزيدا ولا متفننا، لكن موردا لما يحضرني على وجهه وبحسب وقوعه حيث انتهى حفظي وسعة باعي فيما أذكره فبادرت إلى مرغوبك، ولولا الإيجاب لك لما تكلفته"[4]، حيث يذكر ابن حزم في هذه المقدمة سبب تأليفها وموضوعها وَ وَقعُ هذا الطلب على نفسه،

---

1 ـ ابن حزم، أصحاب الفتيا من الصحابة والتابعين ومن بعدهم على مراتبهم في كثرة الفتيا، ط1، تح: كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، 1415هـ/1995م، ص23 ـ 24.

2 ـ ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة والألاف، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1988 ـ الجزائر، ص 15.

3 ـ دنا عبد اللطيف سليم حمودة، شعرية النثر ـ طوق الحمامة أنموذجـا (**ماجيستير**)، جامعة الشرق الأوسط،كلية الآداب والعلوم، عمان ـ الأردن، 2011 ـ 2012 م، ص 29.

4 ـ ابن حزم، طوق الحمامة، المصدر السابق، ص3.

فهذه الرسالة دلالة قوية على سيلان الذهن واتقاده عند ابن حزم، وقوة الحفظ والإدراك عنده لحقيقة الحب وأسبابه وأحواله.

خ ـ الأخلاق والسير في مداواة النفوس:

يعتبر كتاب الأخلاق والسير في مداواة النفوس من أجلّ آثار ابن حزم التي اهتم فيه بدراسة النفوس وتشخيص عللها لعلاجها، وذلك بتقويم أخلاقها، فذكر فيه حكما ومواعظ قيمة صاغها في قالب أدبي فني جميل، استقاها من تجاربه الخاصة وظروف عصره، وأحوال مجتمعه، وبعض النظريات الفلسفية اليونانية، وقد ذكر من جملة النصائح ضرورة التسلح بالعلم وزاد المعرفة، عن طريق الجد، والانكباب على تحصيله والنهل من مختلف منابعه، وبه يزكي الإنسان نفسه بالخلق الكريم والسلوك القويم، ليسلك بذلك أسمى المقامات، وأعلى الدرجات التي يمكن أن يحققها الإنسان[1]، فهذا النوع من الإنتاج العلمي الذي أضافه ابن حزم للخزانة المعرفية يدل على أن ابن حزم كان من أعرف معاصريه بحال النفوس وما يزكيها، ومايعترضها فيعكر صفوها.

ومما ذكر به من الأخلاق قال: أدواء الأخلاق الفاسدة من امتحن بالعجب فليفكر فِي عيوبه، فإن أعجب بفضائله فليفتش ما فيه من الأخلاق الدنيئة، فإن خفيت عليه عيوبه جملة حتّى يظنّ أنه لا عيب فيه فليعلم أن مصيبته إلى الأبد وأنه أتم الناس نقصا، وأعظمهم عيوبا وأضعفهم تمييزا، وأول ذلك أنه ضعيف العقل جاهل، ولا عيب أشد من هذين، لأن العاقل هو من ميز عيوب نفسه فغالبها، وسعى في قمعها، والأحمق هو الذي يجهل عيوب نفسه إما لقلة

1 . بغدادي بشير،"أثر اكتساب العلم في تهذيب الأخلاق من خلال كتاب الأخلاق والسير في مداواة النفوس"، **مجلة آفاق للعلوم**، جامعة الجلفة ـ الجزائر، 2016/09/01م، المجلد:1، العدد:4، ص ص 34 ـ 43، ص34.

علمه وتمييزه وضعف فكرته وإما أنه يقدر أن عيوبه خصال[1]، وذلك من خلال مجانبة حقيقة الفطرة وتحقيقا للانتكاستها التي تحولها إلى ما يرهقها.

د ـ معرفة النفس بغيرها وجهلها بذاتها:

هذه الرسالة "معرفة النفس بغيرها وجهلها بذاتها" فيها سجال وحوار أقامه ابن حزم مع نفسه، بدأ فيه بمقدمة حول حقيقة الإنسان، باعتباره أنه جسد ونفس، ولولا الجسد في النفس لكانت مواتا، وجمادا، لذا أخذ في البحث عن حقيقة أمرها باعتبارها المتحكمة في الجسد[2]، فقال:"يا أيتها النفس المعترفة بجهل ذاتها، الواقفة على علم ما عداها، ألست أنت المخاطبة والمسؤولة والسائلة"[3]، وفي هذا إشارة إلى أن ابن حزم كان له من العلم والمعرفة بالنفس وأحوالها، وما يعترضها فيستشرف من حالها إيجابا وسلبا.

كما أن لابن حزم الكثير من المؤلفات غير ما ذكرنا من النماذج السابقة، منها ما هو مطبوع مثل : كتاب إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل، كتاب الإجماع، كتاب أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد، إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل وبيان تناقض ما بأيديهم من ذلك مما لا يحتمل التأويل، وكتاب ألم الموت وإبطاله، ورسالة الإمامة، وأوقات الأمراء وأيامهم بالأندلس، والبيان عن حقيقة الإيمان[4]، وغيرها من المؤلفات التي لم يسعنا الوقت المخصص لموضوع بحثنا كي نتطرق لها كلها.

---

1 . ابن حزم الأندلسي، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت ـ لبنان،1399هـ/1979م، ص66.

2 . ابن حزم، معرفة النفس بغيرها وجهلها بذاتها،ج1، ط2، تح:إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ـ لبنان، 1987م، ص443.

3 . المصدر نفسه، ج1، ص44.

4 ـ حفيظة طالب، المرجع السابق، ص153 ـ 156.

أما مؤلفات ابن حزم غير المطبوعة فهي كثيرة كذلك منها الإجماع، ومسائله على أبواب الفقه، وأجوبة على صحيح البخاري، واختصار كلام جالينوس في الأمراض الحادة، واختلاف الفقهاء الخمسة مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وداود، والأدوية المفردة والاستقصاء، وأسماء الله الحسنى، وأسواق العرب، والإملاء في شرح الموطأ[1]، هذا بعض المنتوج العلمي للعالم الموسوعي ابن حزم وما أنتجه من رصيد علمي أفاد الخزانة المعرفية بالتراث الأندلسي خاصة، ومن خلاله التراث الإسلامي عموما.

تميز ابن حزم بجمعه بين علوم النقل والعقل، والأدب والفن، كما أنه تشرب طريقة علماء الكلام، وفلاسفة الحضارة الإسلامية فكتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل يبرز موهبته الأصيلة واطلاعه الواسع، وتدريبه الطويل، ومهارته في الرد والتفنيد، أما ما يدل على حساسيته وشفافيته وذكاءه وحسن سبك اللفظ واختياره له كل هذا تدل عليه كتبه في مجال التاريخ والسير والأدب والنفس وأحوالها[2]، وعليه فإن الخزانة العلمية والمعرفية سواء التي بلغتنا من ابن حزم، أو تلك التي لاتزال مغمورة إلى حين الكشف عنها وطبعها، وإعطائها كامل الوقت في التحليل والدراسة، لا تنبئ سوى عن فقيه، وعالم في مقارنة الأديان، ومؤرخا، وأديبا، وفيلسوفا، ومفكرا، وشاعرا، لا مثيل لها[3]، إلا ما ندر من العلماء فاستحق بذلك الوصف بأنه العالم الموسوعي بحق، لا مغالاة في ذلك.

والحقيقة أن رجلا مثل ابن حزم الأندلسي لا يختلف فيه أنه من أحق المؤلفين والعلماء في الوصف بأنه الرجل الموسوعي الذي نال من العلوم الشرعية والعقلية الكثير، فكانت بذلك السمة البارزة في تآليفه وإنتاجه الفكري، ويضاف لها ما يصطلح عليه حديثا بالعلوم الإنسانية الحظ الوفير كذلك، دون أن نغفل وجود بعض المؤلفات المتعلقة بالطب والأدوية والتي لم نجد مرجعا في حدود بحثنا يتطرق لطبعها وانتشارها بين الباحثين وطلبة العلم.

---

1 ـ حفيظة طالب، المرجع السابق، ص153 ـ 156.

2 ـ حسان محمد حسان، ابن حزم الأندلسي عصره ومنهجه وفكره التربوي، دار الفكر العربي، القاهرة ـ مصر،(د. ت. ط)، ص35 ـ36

3 ـ المرجع نفسه، ص20.

صحيح أن العلم والفكر والانتاج الحضاري قد يكون وليد فترة زمنية معينة أو بقعة مكانية محددة، إلا أن إشعاعه يتعدى إلى غيره من الأزمنة والبقاع، بتعمد أو غيره، لأن الأصل في العلم الانتشار، كيف لا وأن تراث ابن حزم قد أحرق منه الكثير إلا أنه قد وصل منه ما جعل أقلام المحققين والباحثين والناقدين سيالة تجاه هذا التراث المميز.

كما اقتصرنا في هذا الفصل على ما اعتقدنا أنه من أشهر مؤلفات ابن حزم، وأكثرها انتشارا وتأثيرا، من حيث الاعتناء بدراستها، وتناول مواضيعها، وما كان منها إبداعا من ابن حزم .

الفصل الثاني:

أحمد بن يحي الونشريسي ونماذج من إنتاجاته العلمية:

المبحث الأول: التعريف بأحمد بن يحي الونشريسي:

1- مولده ونسبه.

2- طلبه للعلم، ومنزلته العلمية.

3- محنته ووفاته.

المبحث الثاني: نماذج من الإنتاج العلمي لأحمد بن يحي الونشريسي:

1- الفقه وأصوله.

2- السياسة والحكم.

3- التراجم والسير والتاريخ.

عرفت بلاد المغرب الإسلامي جملة من العلماء والفضلاء الذين كان لهم الأثر البالغ في الحركة العلمية، والإنتاج المعرفي، من هؤلاء الأفذاذ أحمد بن يحي الونشريسي.

المبحث الأول: التعريف بأحمد بن يحي الونشريسي:

الحقيقة أن سمة الموسوعية لدى الونشريسي برزت بشكل لافت في براعته خصوصا في الفقه النوازلي، هذا الفقه الذي لا يتقنه إلا عالم ذكي فطن، وحافظ متين الحفظ إلا أنه ألف في غيره.

1 ـ مولده ونسبه:

هو أبو العباس أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي، تلمساني الأصل والمنشأ، الفاسي الدار والمدفن، وقد ذكر المقري في "أزهار الرياض" أنه ونشريسي الأصل والمولد[1]، أما عن سنة مولده فهي مجهولة، غير أن تحديدها بحوالي سنة أربع وثلاثين وثمان مائة للهجرة 834هـ/1430م يؤخذ من أخبار محمد بن قاسم القصار، مفتي فاس بأن الونشريسي توفي سنة914هـ/1508م، وعمره نحو الثمانين عاما، على ما نقله صاحب البستان، ونيل الابتهاج[2] وعليه فإذا ماتم اعتماد سن ال80 عند سنة 914هـ، فطرح 80عام من 914هـ فإننا نحصل على سنة 834هـ، والتي هي سنة مولده باعتماد هذا الحساب.

كما أنه لم يدون لنا الونشريسي شيئاً عن أسرته، ولم تُشر كتب التراجم إلى أي جانب من ذلك، هذا فيما يتعلق بأسرته الكبيرة، أما عن أسرته الصغيرة، فنحن لا نعرف عن هذا الجانب سوى ما أشارت إليه بعض المصادر من أن مولد ابنه كان في فاس بعد رحيله عن تلمسان، ويفيدنا صاحب سلوة الأنفاس بتاريخ مدقق لوفاة هذا الولد أي عبد الواحد الونشريسي، فقال:

---

1 ـ عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، ج2، ط2، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، 1402هـ/1982م، ص 1122.

2 ـ زكري لامية،"من أعلام تلمسان:أبو العباس أحمد الونشريسي(834ـ914هـ/1430ـ1508م)، سيرة ومسيرة"، **مجلة عصور الجديدة**، جامعة وهران ـ الجزائر، المجلد:3، العدد:10، ص ص61 ـ73، 16-07-2013م، ص62.

إنه توفي قتيلا وذلك ليلة الاثنين17 من ذي الحجة سنة(955هـ/1548م)، عن نحو 70سنة وهـذا يـدل على أنـه ولـد حوالـي سنة(885هـ/1480م)[1]، هـذا باعتماد خصم 70سنة مـن سنة وفاته.

2 ـ طلبــه للعلــم، ومكانتــه العلميــة:

لما بلغ الونشريسي أشده وبلغ أربعين سنة انتقل إلى فاس، في أول محرم من سنة(874هـ/1469م)[2]، غادر تلمسان مكرها، ذلك أن سلطانها محمد بن أبي ثابت المتوكل على الله (866ـ888هـ/1461ـ1483م) الذي اشتهر بتشجيعه للعلماء ورعايته لهم، حاول إخضاعه فصادر بهذا أمواله، واقتحم عليه داره فهدمها، لكن مر عليه هذا الخطر بسلام انتهى بفراره إلى فاس مواصلا حياته العلمية[3]، ومن أسباب هجرته من تلمسان إلى فاس نجد علاقته الوطيدة بعلمائها وفقهائها وطلابها، حيث لقي من حفاوة فقهائها وإقبال طلبتها عليه بما أنساه الغربة، وجعله ينسجم في بيئته الجديدة انسجاما تاما، وكان أول ما نزل هناك نزل على الأستاذ محمد الصغير[4]، ونزوله عند شيخ بهذه المنزلة يدل على شغفه بالعلم وأهله.

إن المعلومات المتوافرة من خلال المصادر التاريخية حول بداية حياة الونشريسي أشارت إلى أنه ارتحل في طفولته المبكرة مع أسرته إلى تلمسان، ولم تشر إلى سبب مغادرة هذه الأسرة قبل

---

1 ـ زكري لامية، من أعلام تلمسان، المرجع السابق، ص62.

2 ـ الكتاني، المرجع السابق، ص 1122.

3 ـ المهدي البوعبدلي،"الجوانب المجهولة من ترجمة حياة الإمام أحمد بن يحي الونشريسي"، **مجلة الأصالة**، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، عدد:84/83، جويلية 1980م، ص ص20 ـ 28، ص22.

4 ـ هو أبو عبد الله محمد الصغير المعروف بالسهيلي، الشيخ الكبير العارف الشهير أحد العلماء العاملين والفضلاء الواصلين، أخذ عن الشيخ أبي عبد الله محمد الجزولي وروى عنه دلائل الخيرات، وروايته أصح الروايات، توفي عن سن عالية جداً سنة ثمانية عشر وتسع مائة للهجرة، أنظر: محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج1، تح:عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان،ط1، 1424 هـ / 2003م، ص398.

مولده أو بعده لبلدهم الأصلي[1] ونشريس[2]، تفقه الونشريسي على كبار فقهاء وقته في تلمسان وألَمَ بكل العلوم التي كانت تدرس آنذاك، منهم أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني (ت854هـ/1450م)[3]، وشيخ المفسرين والنحاة العالم المطلق ـ على حد تعبير الونشريسي ـ أبو عبد الله محمد بن العباس العبادي(ت871هـ/1466م)[4]، وبعد انتقاله إلى فاس استفاد كذلك من علمائها، وفي مقدمتهم قاضي مكناس محمد بن أحمد اليفريني(ت 871هـ/1466م)[5] ، ومحمد لقوري(872هـ/1467 م)[6]، ولم يذكر مترجموه أنه حج بيت الله الحرام أو أنه ارتحل في

1 ـ زكري لامية، من أعلام تلمسان، المرجع السابق، ص62.

2 ـ ونشريس: تسمسيلت هي كلمة بربرية مركبة من جزئين، غروب الشمس(تسيم :غروب وسيلت :الشمس)، وتعني غروب الشمس، وتطلق على جبل بين مليانة شرقاً إلى تلمسان غرباً، وتمتد من الأطلس التيطري والبليدي شرقا، إلى جبال بني شقران وفرندة غربا، وتجاورها في الجنوب هضبة السرسو، ويحوط مجرى وادي الطويل، والشلف، بشرق وشمال الونشريس، (أنظر: زكري لامية، المرجع سابق، ص96).

3 ـ قاسم بن سعيد بن محمد العقباني: أخذ عن والده الإمام أبي عثمان وغيره، وحصل العلوم حتى وصل درجة الاجتهاد، ولي القضاء بتلمسان، توفي في ذي القعدة عام أربع وخمسون وثمان مائة للهجرة، وحضر جنازته السلطان فمن دونه، ودفن قرب الشيخ ابن مرزوق ، وتوفي عن سن عالية، (أنظر: أحمد بابا بن أحمد التنبكتي السوداني، أبو العباس المتوفى:ست وثلاثون وألف للهجرة، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس ـ ليبيا، ط2، 2000 م، ص365 ـ 366).

4 ـ أبو عبد الله محمَّد بن العباس العبادي التلمساني: الإمام العلامة المحقق المفتي، أخذ عن ابن مرزوق الحفيد وأبو الفضل العقباني، وأخذ عنه ابن سعد والمازوني والونشريسي، له شرح على لامية الأفعال، وفتاوى كثيرة بعضها في المازونية والمعيار، توفي في ذي الحجة سنة واحد وسبعون وثمان مائة للهجرة، محمد بن سالم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج1،ط1، تح:عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، 1424هـ/2003م، ص381 ـ 382.

5 ـ محمد بن أحمد اليفرني الفاسي، اشتهر بالمكناسي، كان فقيهًا قاضيًا، تولى قضاء فاس أزيد من ثلاثين سنة، وكان فاضلًا ذا سياسة، وهو من بيت علم، وله تآليف في القضاء، تولى الفتوى بفاس، (أنظر: التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص581).

6 ـ محمد بن قاسم القوري اللخمي المكناسي ثم الفاسي، أندلسي الأصل، وكان له قوة عارضة ومزيد ذكاء مع نزاهة وديانة وحفظ، أخذ عن أبي الحسن علي بن يوسف التلاجدوتي العربية والحساب والعروض والفرائض، وعن الشيخ ابن جابر

سبيل العلم إلى عواصم العالم الإسلامي، كما كان حال كثير من معاصريه[1]، ولعل ذلك عائد لعدم نبوغ أسرته في العلم، وشغفها به.

بعد أن تمكن الونشريسي من علوم عصره، وفي مقدمتها الفقه وعلوم اللغة، تولى التدريس في تلمسان، وعد من العارفين بعلم الحديث والتفسير والتوحيد والمنطق[2] ، كما كانت له مشاركة في علوم الأخرى كالوثائق والأصول والتاريخ والفرائض بالاضافة إلى قرض الشعر وتولى الفتوى أيضا بتلمسان[3]، ولما نزل بفاس أول ما نزل هناك على الأستاذ محمد بن الحسن الصغير، فاحتفى به وأحسن استقباله، وإذ يحدثنا ابن القاضي أنه أول قدومه حضرة فاس أخذ يحضر مجلس أبي عبد الله محمد بن عبد الله اليفريني المعروف بالقاضي المكناسي[4]، لم يعرف عنه أنه درس سوى الفقه في الأكثر، و درس في مدرسة المصباحية، وكان نشاطه واسعا في مساجد ومدارس فاس الأخرى [5]، ما يدل على حالة الاستقرار التي عرفها بفاس وأهلها.

ولقد كان أبو العباس يتقن كثيرا من العلوم خصوصا النحو، ويظهر ذلك من فصاحة لسانه وقلمه إذ نقل عن "المنجور" عبارته المشهورة حتى كان بعض من يحضر تدريسه يقول:"لو حضره سيبوية لأخذ النحو من فيه"[6]، أي من فمه، وهذا فيه دلالة على تمكن الإمام أحمد بن يحي الونشريسي من بعض العلوم الأخرى غير الفقه كعلوم العربية.

الغساني القراءات السبع، وعن أبي عبد الله الحاج عزوز الحديث والتاريخ والسير والطب، وعن الشيخ ابن غياث السلوي علم الطب، وكان مجيدًا فيه، التنبكتي، أبو العباس، (أنظر: التنبكتي، نيل الابتهاج، المرجع السابق ص 549 ـ 550).

1 ـ زكري لامية، من أعلام تلمسان، نفسه، ص 63.

2 ـ ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي "تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"،ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، 1999م، ص277.

3 ـ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998م، بيروت ـ لبنان، ص 124.

4 ـ أحمد بن القاضي المكناسي توفي ستون وتسع مائة، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس،ج1،دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط ـ المغرب، 1973م/1393هـ، ص.156 ـ 157.

5 ـ زكري لامية،"من أعلام تلمسان"، المرجع السابق:ص64.

6 ـ التنبكتي، نيل الابتهاج، المرجع السابق، ص135.

وقال فيه شيخ الجماعة بالمغرب الإمام محمد "ابن غازي"[1]، أمام جلة من الفقهاء حين مر به أحمد الونشريسي يوما بجامع القرويين "لو أن رجلا حلف بطلاق زوجته أن أبا العباس الونشريسي أحاط بمذهب مالك وأصوله وفروعه، كان بارا في يمينه ولا تطلق عليه زوجته لتبحر أبي العباس وكثرة اطلاعه وحفظه وإتقانه"[2]، وجاء في وصف ابن مريم له بأنه حامل لواء المذهب على رأس المائة التاسعة[3]، وقد أخذ عنه طلبة كثيرون دروسه وتخرج عليه علماء أجلاء منهم ولده عبد الواحد الذي تولى القضاء والإفتاء بفاس، واغتيل غدراً بجامع القرويين سنة (955هـ/1448م)[4]، ونجد أيضا الورتدغيري (ت956هـ/1549م) ، وكان يدرسا الفقه والحديث، والحسن بن عثمان التملي الجزولي شيخ فقهاء تارودانت وممن قرأ عليه "مختصر ابن الحاجب الفرعي" ولازمه فيه حتى فهمه، وتفقه عليه الفقيه النوازلي أبو عياد بن فليح اللمطي (ت 936هـ/1529)، وأبو الحسن علي بن هارون المطغري فقيه فاس ومفتيها(ت951هـ /1544م)، وأبو عبد الله محمد الكراسي الأندلسي قاضي تطوان(ت964هـ/1556م)[5] هذا نزر يسير من مسيرة أحد علماء بلاد المغرب الإسلامي، والتي كان لها الأثر الكبير في التكوين الموسوعي لهذه الشخصية الواسعة المعارف.

---

1 ـ هو محمد بن أحمد بن غازي، الفقيه خطيب جامع القرويين، تولى رياسة العلم والفتيا بمدينة فاس، من مشاهير العلماء العاملين، له تصنيف منها، شفاء الغليل في حل مقفل خليل،(محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني، توفي سنة ست وثمانون وتسع مائة للهجرة، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر،ط2، تح:محمد حجي، الرباط ـ المغرب،1397هـ/1977م، ص47).

2 ـ ابن مريم المليتي المديوني التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تح: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م، ص53.

3 ـ التنبكتي، المرجع السابق، ص135.

4 ـ زكري لامية، "من أعلام تلمسان"، المرجع السابق، ص64 ـ 65.

5 ـ المرجع السابق، ص135.

3ـ محنتــه وفاتـــه:

لم تسر الأمور مع الشيخ أبي العباس على أحسن أحوالها، بل عاكسته، وجرى له وهو بتلمسان ما اقتضى خروجه منها فارا عام(874هـ/1469م)، حيث سخط عليه ملوك تلمسان وتسلط عليهِ الهمج من الناس، ونهبوا داره، فكان مما فجعوه فيه كان أعز ما يملك، منها مصنفات كان أبو العباس الونشريسي قد أجهد فكره في تأليفها، وبذل أنفس الأوقات لجمعها[1]، وكأن ذلك مفتعل لترويعه وترحيله، وهو ما وقع بالفعل بخروجه من تلمسان متجها إلى فاس .

وقد روى الونشريسي في مقدمة كتابه "عدة البروق في جمع ما في المذهب من الجموع والفروق"، قائلا:" ثم إن بعض الهمَج ممن له جرأة وتسلُّط على الأموال والمهج، انتهبه مع جملة أسباب منِّي وغاب به عني، فأدركتني من ذلك غايةُ المشقة والحرج، فلجأت إلى الله تعالى في تجديده، وقرعت باب الفرَج، ففتح الله عز وجل بابه الكريم لإعادته وتجديده"[2]، وهذا يدل على أن الونشريسي كان يتحرى الكتب الموجودة والمصححة يتملكها أو ينسخ عليها، كما أفاد أيضا ما كان عليه من الدراية والمعرفة بنفائس الكتب والاطلاع عليها[3]، ويستشف من كل هذا الكلام درجة الحسرة والألم الذي حل بالإمام الونشريسي بنهب كتبه ومدوناته ما أوقعه في شديد حرج لإعادة التدوين.

1ـ سمير يحي سمراد،"خزانة الشيخ أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي"، **مجلة الحضارة الإسلامية**، جامعة أحمد بن بلة، وهران ـ الجزائر، المجلد:20، العدد: 02، ديسمبر:2019م، ص ص: 517 ـ 536، ص521.

2ـ أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي، عدة البروق في جمع ما في المذهب من الجموع والفروق، ط1، تح:حمزة أبو فارس، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، 1410 هـ/1990م، ص79.

3ـ المرجع السابق، ص521.

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في العشرين من شهر صفر (914هـ/1508م) عن عمر ناهز الثمانين عاما، ودفن بـ :"باب الفتوح" قرب ضريح "سيدي محمد بن عياد"، وقد رثاه الفقيه أبو عبد الله محمد بن الحداد الوادي آشي، بقصائد ذكرها صاحب "أزهار الرياض"[1].

ومن بين الأبيات التي رثي بها نذكر على سبيل المثال:

لقد أظلمت فاس بل الغرب كله ... بموت الفقيه الونشريشي أحمد
رئيس ذوي الفتوى بغير منازع ... وعارف أحكام النوازل الاوحد
له دربة فيها ورأى مسدد ... بإرشاده الأعلام في ذاك تهتدي
وتالله ما في غربنا اليوم مثله ... ولا من يدانيه بطول تردد
عليه من الرحمن أفضل رحمة ... تروح على مثواه وتغتدي[2]

وفي هذه الأبيات تعبير على الشغف بالعلم وأهله، وأن فقد العالم، ليس كفقد غيره.

إن مكانة الونشريسي قد فاقت به الأوائل والأواخر ولذلك صدق الذين رثوه بأنهم فقدوا منارة عالية في الفقه المالكي، وأن المغرب الإسلامي خلا بعده من أمثاله، وقد اشترك في رثائه عدد من العلماء والشعراء، ولهذا فإن وفاة الونشريسي تركت فراغا معتبرا في ميدان الفقه، ولم يستطع أحد أن يملأه، فلقد بلغ منزلة عالية في الفقه المالكي تأليفا ودرسا[3]، ثم إن حياة أحمد بن يحي الونشريسي الشخصية والأسرية ورغم أنه لم تصلنا الكثير من المعلومات عنها إلا أنها كانت مليئة بالأحداث خصوصا فيما له علاقة بالإنتاج العلمي وحركة التأليف، فلم يركن إلى ما يعيق اهتمامه كمجاراة السلطان بالباطل عن الحق مثلا.

---

1. أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت1041هـ)، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ج3، تح: مصطفى السقا ـ إبراهيم الإبياري ـ عبد العظيم شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ـ مصر، 1358هـ / 1939م، ص306.

2 ـ المقري التلمساني، المصدر السابق، ص306.

3 ـ زكري لامية، المرجع السابق، ص68.

أثرى أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي الساحة العلمية بجملة من المؤلفات رفيعة القيمة بديعة التأليف، جامعة نافعة، تعددت مجالاتها، وتنوعت مقاصدها.

المبحث الثاني: نماذج من الإنتاج العلمي لأحمد بن يحي الونشريسي:

إن المتأمل في براعة الونشريسي في مجال التأليف يلحظ غلبة الجانب الفقهي على تآليفه وهذا طبعا ليس بالأمر البسيط كون الفقه له ارتباط بواقع الناس الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي، فكان مما ألف ما يلي:

1 ـ في الفقه وأصوله، ومقاصد الشريعة الإسلامية:

إذ يعتبر مجال الفقه وما تعلق به من فتاوى خصوص النوازل مجالا واسعا للتأليف عند أحمد ابن يحي الونشريسي، فنجد من هذه التآليف مايلي:

أ ـ المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب: يعد هذا الكتاب موسوعة من أشهر الموسوعات للعالم أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي وقد خص كتابه هذا بالدراسة لأن شموله المكاني والزماني أعطاه ميزة قد لا توجد في غيره من كتب النوازل المغربية، والذي جمع من خلاله جملة من الفتاوى الشرعية لفقهاء وعلماء تناولت نوازل وقضايا عرضت فيما بين القرنين الثالث والتاسع هجري، وصدرت من الأقطار المغربية الأربعة، الأندلس والمغرب الأقصى والمغرب الأوسط وإفريقية[1]، وهذه الفتاوى كانت من مختلفة أقطار بلاد الغرب الإسلامي كالقيروان وفاس وبجاية وغيرها.

إن الغرض من تأليف كتاب"المعيار" منصب على تجميع أكبر مادة علمية في الفتوى، وليس انتقاء الصحيح والمعتمد من الآراء[2]، جمع فيه ما يقارب ألفي ومائة وخمس وثلاثين فتوى، ولم يقتصر عمله على الجمع، بل تجاوز ذلك إلى تصنيف هذه الفتاوى والتعليق عليها، فهو كما

---

1 ـ عبد الرحيم مزاري، "كتاب المعيار المعرب للونشريسي بين الدراسات الأكاديمية والاستعمال الفقهي"، **مجلة الحضارة الإسلامية**، جامعة تيارت ـ الجزائر، المجلد:20، العدد:01، ماي2019م، ص ص307 . 321، ص 309 ـ 310.

2 ـ أحمد بن يحي الونشريسي، إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك، ط1 ، تح: الصادق الغرياني، دار ابن حزم، لبنان، 2006م، ص24.

وصفه ابن عسكر بأنه ناقد بصير، يقبل ويرد، ويرجح ويضعف، تبتدئ تعليقاته على ما يذكره بقوله (قلت)، فتقصر تارة، وتطول أخرى، بالإضافة إلى فتاويه الخاصة، وهي غير قليلة كتعليقاته، يكون بعضها كتابا مستقلا بعنوانه وفصوله[1]، هذه الإضافات النوعية أكسبت "المعيار" قيمة مرجعية عظمى جعلته معتمدا بعد وفاة صاحبه عدة قرون في المغرب، فهو أكبر موسوعة في النوازل الفقهية بالغرب الإسلامي، وأوثق سجل لاجتهادات فقهاء هذه المنطقة طوال سبعة قرون[2]، بل ولارتباط الفقه بحياة الناس، أضحت هذه الموسوعة تشمل جوانب عدة سياسية واجتماعية واقتصادية وغيرها من المجالات.

ويعتبر مصنف أبي العباس الونشريسي(ت914هـ/1508م)"المعيار المعرب" أهم المصنفات النوازلية، فله قيمة كبيرة في مجال الدراسات التاريخية والاجتماعية، وقد أكد على ذلك كثير من الباحثين[3]، وذلك من خلال أن الفتاوى مبنية أساسا على ممارسات الناس المجتمعية وعلاقاتهم ببعضهم البعض، وعلاقاتهم بحكامهم وأوضاعهم في السلم والحرب، وما يصيبهم من حوادث مستجدة، فيبحثون عن حلول شرعية لها، ويبحثون عن موقف الشريعة منها، باللجوء إلى المفتي، فتحمل في طياتها الخبر الاجتماعي والتاريخي والسياسي وغيرها، إذ يعتبر أصدق الأخبار باعتبار أن الخبر لم يكن مقصودا بذاته وإنما ذكر عرضا في معرض موقف الشرع منه.

ويقول الدكتور حجي:"يحتوي المعيار على إشارات دفينة في غاية الأهمية لمن يدرس مجتمع الغرب الإسلامي وتاريخه، سواء في العدوة الشمالية: الأندلس، أو الجنوبية: المغرب العربي

---

1 ـ أحمد بن يحي الونشريسي، المعيار المعرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط ـ المغرب، 1976م، ص ح، (نقلا عن المحقق).

2 ـ محمد حجي، نظرات في النوازل الفقهية، ط1، الجمعية المغربية للتأليف والنشر والترجمة، المغرب، 1999 م، ص81.

3 ـ صرموم رابح،"المعيار المعرب للونشريسي وأهميته في الدراسات التاريخية"، **حوليات جامعة الجزائر1**، المجلد:35 . العدد:03، 2021م، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران ـ الجزائر، ص ص495 ـ 505، ص501.

الكبير"[1]، ويقول الدكتور محمد فتحة:" كما أنه وفر للمؤرخ دون أن يقصد منجما غنيا من شأنه أن يفتح آفاق جديدة للبحث، ويسمح له بتجاوز مواضيع التاريخ الحدثي الذي توفره المؤلفات الإخبارية والاهتمام بأحوال المجتمع بمختلف مكوناته"[2] ، ولعل كثرة الدراسات التاريخية بمختلف فروعها التي نالت هذه الموسوعة من طرف الباحثين على اهتماماتهم مايدل على هذه القيمة والأهمية.

وتبرز قيمة "المعيار المعرب" في مجال البحث التاريخي عن غيره من سائر كتب النوازل في أن هذا المصنف يغطي فترة زمنية طويلة من تاريخ المغرب تصل إلى سبعة قرون تقريبا حيث إن أقدم الفتاوى التي تضمنها الكتاب ترجع إلى القرن الثالث الهجري، كما أنه يغطي جغرافيا الغرب الإسلامي كله، كما أن مسائله تغطي كل جوانب الحياة اليومية للفرد وأحوال المجتمع بمختلف مكوناته، وهي مسائل كثيرة، ارتبط كثير منها بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، وهو أمر يكاد يتعذر في مجاميع أخرى للفتاوى، ومما زاده أهمية أيضا هو أن العديد من الفتاوى الواردة فيه ألحق بها المؤلف مجموعة من الوثائق، ذات القيمة المعتبرة، بينما غيره من كتب النوازل لم تحظ بهذه المزية، لأنها تعرضت لغربلة فقهية من طرف الذين جمعوها[3]، هذا ما زادها أهمية بترك المجال للباحثين والدارسين بالبحث فيها، والتنقيب عن أدنى المعلومات التي قد تحمل ما تحمل من الدلائل التاريخية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها.

كما اتسمت هذه الموسوعة بالأمانة العلمية في النقل، حيث يأتي بنصوص الأسئلة على حالها، ولم تسمح له أمانته العلمية بالتصرف فيها أو تقويمها، ولذلك نجد في المعيار كثيرا من الكلمات الدارجة والعبارات الملحونة، مثل "باطل" أي مجانا بدون مقابل، و"صاب"

1 ـ محمد حجي، المرجع السابق، ص82.

2 ـ محمد فتحة، النوازل الفقهية والمجتمع، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء ـ المغرب، 1999م، ص11.

3 ـ صرموم رابح، المعيار المعرب للونشريسي وأهميته في الدراسات التاريخية، المرجع السابق، ص502.

بمعنى لقي ووجد، و"نتعوج" بمعنى ننحرف[1]، فنقل هذه العبارات مثلما هي فيمكننا ذلك من معرفة لغة العصر التي كانت سائدة ومدى قربها أو بعدها عن اللغة الفصيحة، وبهذا ظل المعيار المعرب مصدرا أساسيا لا مندوحة للباحثين من الرجوع إليه لكتابة تاريخ الغرب الإسلامي، لا سيما في قضايا الاقتصاد والمجتمع، والحياة الثقافية والفكرية وغيرها[2]، على اختلاف تخصصات الباحثين، وتنوع اهتماماتهم وتعددها.

كتاب "المعيار" هو أهم الكتب التي ألفها الونشريسي وأشهرها، وقد عرفه مؤلفه في المقدمة بقوله:"فهذا كتاب سميته بالمعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب، وجمعت فيه من أجوبة متأخريهم ومتقدميهم، ما يفسر الوقوف على أكثره في أماكنه واستخراجه من مكامنه لتبدده وتفرقه، وانبهام محله وطريقه، رغبة في عموم النفع به، ورتبته على الأبواب الفقهية، ليسهل الأمر فيه على الناظر، وصرحت بأسماء المفتين إلا في اليسير النادر)[3]، ويلاحظ أن أهم مصادر المعيار في الفتوى، كتاب "نوازل البرزلي" وعلى الأخص في الفتاوى المتصلة بعادات الناس في تلمسان وتونس[4].

ب ـ إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك:

ذكر الونشريسي السبب الذي دفعه إلى تأليفه، وهو أن سائلا سأله أن يجمع له ملخصا في الفقه، يربط الفروع بأصولها، ويكون سهل المآخذ، محكم البناء، وعلى الرغم من أن المؤلف استصعب الإيفاء بمثل هذا الطلب في البداية فإنه قال قد وفى بما طلب منه، على وجه أفضل مما أمّل السائل، ويشتمل الكتاب على مائة وأربع وعشرين مسألة فقهية، مطبقة على تلك القواعد، وبعد أن ينتهي المؤلف من ذكر القاعدة قد يعمد إلى مناقشة بعض أقوال العلماء، وربما ذكر

1 ـ أحمد بن يحي الونشريسي، المعيار المعرب، ج1، ص ز، (نقلا عن مقدمة المحقق).

2 ـ صرموم رابح، المرجع السابق، ص502.

3 ـ أحمد بن يحي الونشريسي، المعيار المعرب، ج1، المصدر السابق، ص1.

4 ـ التنبكتي، نيل الابتهاج: المرجع السابق، ص135.

المؤلف بعض الحكايات المفيدة، ذات الصلة بالموضع الذي جرت في المذاكرة بين العلماء[1]، لعلها تفيد في جانب بحثي معين أو دراسات أخرى.

كما تناول الونشريسي موضوعات شتى من أبواب الفقه، ولكنها غير مرتبة على أبواب الفقه، إلا أنه قد يذكر في القاعدة الواحدة مسائل أبواب مختلفة، والقواعد في ذاتها ليست مرتبة على أبواب الفقه، ولذلك يصعب البحث فيها عن مسألة تحت أبواب الفقه المعروف، وقد تناول الونشريسي في كتابه ثلاثة أنواع من القواعد، الأولى قواعد عامة متفق عليها بين الفقهاء، لا تختص بباب من أبواب الفقه، بل يمكن أن تندرج تحتها مسائل من أبواب مختلفة مثل قاعدة الضرورات تبيح المحضورات، وعدد القواعد التي ذكرها أبو العباس الونشريسي من هذا النوع عشرون قاعدة[2] ، أما الثانية فهي قواعد عامة غير متفق عليها بين الفقهاء، لذلك جاءت في أسلوب الاستفهام، ومسائلها أيضا لا تختص بباب من أبواب الفقه، مثل قاعدة: الكفار هل هم مخاطبون بفروع الشريعة أم لا، والقواعد التي ذكرها الونشريسي من هذا النوع تمثل نصف الكتاب[3].

والقسم الثالث منها هي قواعد خاصة (ضوابط) مختلف عليها بين الفقهاء، وهي جملة القواعد التي أوردها الونشريسي بصيغة تفيد الاستفهام، إشارة إلى أن المسائل المندرجة تحتها، هي محل اختلاف بين الفقهاء، ويدل عنوان القاعدة على اختصاص مسائلها بباب واحد من أبواب الفقه، وعدد القواعد التي من هذا النوع عند الونشريسي اثنتان وأربعون قاعدة[4].

---

1 ـ أحمد بن يحي الونشريسي، إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام أبي عبد الله مالك، ط1، تح: الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، 1427 هـ/2006 م، ص40.

3ـ الونشريسي، إيضاح المسالكن المصدر السابق، المصدر نفسه، ص40 (نقلا عن المحقق).

2ـ المصدر نفسه، ص 40 (نقلا عن المحقق).

3ـ المصدر نفسه، ص 40 (نقلا عن المحقق).

ج ـ عدة البروق في تلخيص ما في المذهب من الجموع والفروق:

ذكر المؤلف عنوان الكتاب في مقدمته فقال إنه سماه "عدة البروق في جمع ما في المذهب من الجموع والفروق"، وهذا العنوان يسير على نفس الطريقة التي سمى بها كتبه من حيث طول العنوان وسجعاته، وفي بعض النسخ "عدة الفروق في جمع ما في المذهب من الجموع والفروق"، وأخذ الكتاب عنوانا آخر تمثل في "عدة الفروق في تلخيص ما في المذهب من الجموع والفروق"، ألفه الونشريسي مرتين، الأولى في تلمسان على ما يبدو، وقد ضاعت نسخته فيما ضاع من متاعه عندما انتهب، وقد صرح بذلك في مقدمة كتابه، أما الأخرى فبعد انتقاله إلى فاس، وقد ذكر في آخر الكتاب أنه انتهى منه في الخامس عشر من ربيع الثاني عام(855هـ/1451م)[1]، كما شرح المؤلف نفسه الغرض من تأليف كتابه هذا في مقدمته، فذكر أنه يستعان به على حل كثير من المتناقضات الواقعة في المدونة وغيرها من أمهات الروايات[2]، وطبعا لحل المتناقضات التي رآها الونشريسي يجب أن يضع قواعد وتأصيلات حتى يحل هذه التناقضات.

ولكتاب "عدة البروق" قيمة علمية كبيرة، ذلك لأنه يعتبر مرجعًا مهما في مقاصد الشريعة الإسلامية باحتوائه على هذا العدد الضخم من الفروق التي تبين العلل في اختلاف الأحكام بين المسائل، وهو موضوع قل فيه التأليف بصورة عامة في الفقه الإسلامي وفي المذهب المالكي خاصة[3].

كما أن مصادره تنوعت منها: المدونة، جامع ابن يونس، شرح ابن عبد السلام على مختصر ابن الحاجب، مختصر ابن عرفة، البيان والتحصيل لابن رشد، نوازل ابن رشد، تعليق التونسي على المدونة، التوضيح لخليل، شرح التلقين للمازري، نوادر ابن أبي زيد، فروق القرافي، الذخيرة

---

1 ـ الونشريسي، عدة البروق في جمع ما في المذهب من الجموع والفروق، ط1، تح: حمزة أبو فارس، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، 1410هـ/1990م، ص48 ـ 49 (نقلا عن المحقق).

2 ـ المصدر نفسه، ص79.

3 ـ المصدر نفسه، ص52 (نقلا عن المحقق).

للقرافي، التهذيب لعبد الحق، تعليق أبي عمران الفاسي على المدونة، القبس لابن العربي، مختصر ابن عبد الحكم، مختصر ابن الحاجب، التنبيهات لعياض، شرح مختصر ابن عبد الحكم للأبهري وثائق ابن العطار، الطرق الحكمية لابن قيم الجوزية، مختصر ابن الوقار، أجوبة سحنون، المقدمات لابن رشد[1].

هذا التنوع في المصادره وكثرتها جعلت الكتاب غنيا بالمعلومات وأعطاه قيمة علمية مهمة للغاية في الخزانة العلمية، خصوصا في مجال الدراسات الشرعية.

د ـ أسنى المتاجر في بيان أحكام من غالب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر:

وهو من المؤلفات التي وضعها أحمد بن يحي الونشريسي على شكل رسالة ليس لها أبواب تنطوي تحتها، وإنما تناولت مسألتين أساسيتين أجاب فيهما الفقيه الغرناطي أبو عبد الله محمد بن القوطية(ت367هـ/977م)، بحيث تتفرع عنهما مسائل ثانوية متعددة فهي تبحث في حكم بقاء المسلم في بلده الذي غلب عليه الكفار بخاصة، وحكم الإقامة في بلاد الكفار بعامة، وقد أدرج هذه الرسالة في المعيار[2]، أعاد نشرها محققة الدكتور حسين مؤنس (ت1416هـ/1996م) في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد[3]، وفي عنوان هذه الرسالة ما يدل على دقة نظر المؤلف، حيث أشار إلى من غلب على وطنه النصارى، وليس من تولى أمر بلده النصارى، إذ بين الحالين بوناً شاسعا، فربما تسلط الكفار على بلد بالسلاح أو الحكم، فغلبوا أهله عليه، ولكنهم لم يستأصلوا شأفة المسلمين، ولم ينازعوهم الدار، بل نازعوهم السلطة والحُكم والقرار، ولأهل الأندلس بخاصة، ومن شابههم في الحال التي صاروا إليها بعامة يفتي الونشريسي بتعين

1 ـ الونشريسي، عدة البروق، المصدر نفسه، ص 53 ـ 54 (نقلا عن المحقق).

2 ـ الزركلي، الأعلام، المصدر السابق، ج1، ص269.

3 ـ زكري لامية،"من أعلام تلمسان: أبو العباس أحمد الونشريسي834 ـ 914هـ/1430 ـ 1508م، سيرة ومسيرة"، **مجلة عصور الجديدة**، المجلد:3، العدد:10، جويلية 2013، ص ص61 .73، ص 67.

الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، ولذلك جاءت رسالته قيمةً في بابها، عظيمةً في شأنها[1]، باعتبار أن تحريمه للإقامة بين الكفار ينظر إليه على أساس تحقيق المقاصد ودرء المفاسد.

2ـ في السياسة والحكم والقضاء:

لم يثني أبدا اشتغال أحمد بن يحي الونشريسي بالجانب الفقهي المتعلق بعبادات الناس عن التطرق أيضا لجانب المعاملات، خصوصا ما تعلق بالقضاء، والتوثيق، فكان مما أنتج ما يلي:

أ ـ المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق:

وهذا الكتاب يتناول بعض علوم القضاء الإسلامي، والذي له أهمية بالغة في حفظ حقوق الناس وعدم ضياعها، وهو من المؤلفات التي تضاف إلى خزانة أبو العباس الونشريسي والمتعلق أساسا بعلم الوثائق[2]، والذي ذكر صاحب الكتاب أهميته في قوله:"فإني لما رأيت علم الوثائق من أجل ما سطر في قرطاس، وأنفس ما وزن في قسطاس، وأشرف ما به الأموال والأعراض والدماء والفروج تستباح وتحمى، وأكبر زكاة للأعمال، وأقرب رحمى، وأقطع شيء تنبذ به دعوى الفجور وترمى، وتطمس مسالكها الذميمة وتحمى، وكان جمهور المنتصبين في هذا الوقت لعقدها قد قصر عن إحكام أحكامها باعهم، وقل في مجالها الرحب انطباعهم، واطرحوا أسراراها، وهتكوا أسرارها، ونبذوا دقائقها المهمة إلى وراء، واقتصروا على المسطرة حتى أكل شرار الخلق بالباطل أموال الورى"[3]، أما بخصوص أبواب الكتاب فهي ستة عشر بابا الخمسة عشر الأولى جعلها في

---

1 ـ زكري لامية، "من أعلام تلمسان، المرجع نفسه، ص67.

2. الونشريسي، المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق، ط1، تح: عبد الرحمن بن عبد الرحيم الأطرم، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ـ دبي ـ الإمارات العربية المتحدة، 1426هـ/2005م، ص5 (نقلا عن المحقق).

3 ـ المصدر نفسه، ص 3 ـ 4 (نقلا عن المحقق).

آداب الموثق وأحكام الوثائق، والباب السادس عشر في فتاوى ونوازل فقهية في كتابي النكاح والطلاق وما يتعلق بهما[1]، وكلها تدخل في باب المعاملات والعقود.

إن هذا الكتاب قد احتوى على مايحتاجه الموثق في كل صغيرة وكبيرة من المستوى الأخلاقي، وأبسط أحكام التوثيق إلى أدقها، مما جعل كل من جاء بعده من الموثقين أو من المؤلفين في علم التوثيق لا يستطيع أن يستغني عنه أبدا، فصار المصدر الرئيسي لكل موثق وباحث ومؤلف، وجدير بكل مهتم بهذين الميدانين الاطلاع على هذا الكتاب والوقوف على ما فيه من أخلاق الموثق، وأحكام ومسائل في التوثيق، خاصة في الأزمنة التي تتعقد فيها الحياة وتحتاج إلى ضبط وتوثيق العقود المختلفة حتى تصان الأموال والأعراض[2]، وهي من بين الكليات والضروريات التي أمرت الشريعة بحفظها.

ب ـ كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية: حيث أظهر الونشريسي (824-914هـ/1421 ـ 1508م) في كتاب الأقضية براعة وذكاء واطلاعا واسعا، فكان من ثمرة ذلك هذا الكتاب، الذي حتى وإن كان رسالة صغيرة ضمن تآليفه، إلا أنها تظهر في طياتها أصالة الونشريسي في هذا التأليف[3]، فالكتاب "كتاب الولايات والمناصب الحكومية والخطط الشرعية" ينتمي إلى صنف الآداب السلطانية[4]، وهي كتابات تقوم في أساسها على مبدأ نصيحة أولي الأمر في تسيير شؤون سلطتهم؛ إذ تتضمن مجموعة هائلة من النصائح الأخلاقية، والقواعد السلوكية

---

1 ـ الونشريسي، المنهج الفائق، المصدر نفسه، ص113.

2 ـ أحسن زقور،"تقديم مخطوط المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق"، **المجلة الجزائرية للمخطوطات**، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية،جامعة وهران، الجزائر، مجلد:01، العدد:02، ص ص 06 ـ 22، 30 ـ 06 ـ 2005م، ص18.

3 ـ الونشريسي، كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية، تح: محمد الأمين بلغيث، نشر لافوميك، 1985م، ص 16 ـ 17 (نقلا عن المحقق).

4 ـ رقية بن خيرة،"جدل الخطاب الفقهي والسياسي قراءة في كتاب والولايات للونشريسي"، **مجلة مقدمات**، جامعة معسكر ـ الجزائر، العدد: 05، جانفي2018م، ص ص81 ـ 96، ص82.

الواجب على الحاكم اتباعها، بدءا مما يجب أن يكون عليه شخصه، مرورا بكيفية اختياره لخدامه، ووصولا إلى طرق التعامل مع رعيته، ويكون أساسها التدبير الذي يأخذ في هذه الكتب بمفهوم النجاعة[1]، والتي يكون بفعلها استقرار الأوضاع فينتج عن ذلك رصيد معرفي وفكري يجسد حالة الاستقرار على مختلف الأصعدة.

يلاحظ المتصفح لمتون الكتاب أنّ مؤلفه جعله بين ثنائية التنظير الفقهي والتدبير السياسي؛ فهو ينطلق من مرجعية الأول وينشد غاية الثاني؛ وعليها انحصر مضمونه في الحديث عن الخطط الشرعية والولايات والمناصب الحكومية التي تقوم عليها السلطة ويتم بواسطتها تسيير دواليبها، شملت سبعة عشر ولاية ومنصبا وخطة شرعية تمثلت في الخلافة، والوزارة بشقيها التفويض والتنفيذ، والشرطة، والإمارة، والإمارة على الجهاد، والمظالم، وولاية الحسبة، وولاية السوق، وولاية الردة، وولاية عقود الأنكحة والفسوخ، وولاية التحكيم بين الخصمين، وولاية السعاية وجباية الصدقات، وولاية الخرص، وولاية صرف النفقات، وولاية القسم والكتب والترجمة، وولاية الحكمين في جزاء الصيد، وولاية الحكمين في الشقاق بين الزوجين، والقضاء حيث خصه بحيز كبير من الحديث[2]، ذلك باعتبار أن بين الفقه والقضاء علاقة لا يمكن الفصل بينهما بحال من الأحوال ذلك لارتباطهما بواقع الناس ممارسة وأداء.

03 ـ في التاريـــخ والتراجـــم :

لا شك أن هناك ترابط وثيق بين التاريخ والتراجم، فبينهما علاقة عموم وخصوص فالتاريخ أصل والتراجم فرع، وكليهما فن من الفنون المعرفية التي تكمل بعضها البعض، إلا أن التأليف فيه من جانب الونشريسي لم يعرف الاهتمام نفسه الذي عرفه في الفقه، وعلى قلته لايعني أبدا أنه منعدم، فتوفر لدينا منها كتاب:

---

1 ـ العلام عز الدين، الآداب السلطانية، دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2006م، ص09.

2 ـ رقية بن خيرة، المرجع السابق، ص 83 ـ 84.

أ ـ الوفيـــــات:

حيث يتناول كتاب الوفيات للونشريسي رجال الفقه والحديث والتفسير والتصوف في بلاد المغرب والأندلس منذ عام (701هـ/1301م) حتى سنة (912هـ/1506م) ، أي علماء قرنين وإحدى عشر سنة، مشيرا إلى عدد من المصنفات والمخطوطات والمؤلفات في شتى مجالات العلوم الإنسانية وخاصة التصوف والفقه المالكي[1]، ومن المصنفات والمخطوطات والمؤلفات التي أشار إليها، نذكر على سبيل المثال "معين الأحكام" لأبي إسحاق إبراهيم بن عبد الرفيع التونسي[2](ت732هـ/1331م)، وشرح سورة الأنعام، وسورة الفتح، وشرح ابن الحاجب لأبي عثمان سعيد بن محمد ابن محمد العقباني(ت821هـ/1418م)[3].

فالكتاب رغم صغر حجمه واختصار عباراته إلا أنه زاخر بالمعلومات التاريخية والفوائد العلمية، منها الأسماء والكنى والآباء والأجداد، وأحيانا المواليد والوفيات، وأحوال الأعلام وشيوخهم، والمصنفات والتخصصات، والوظائف والأحداث السياسية[4]، ولهذه المعلومات المتعددة والمتنوعة إشارة لا دلالة لها سوى أن تصنف ضمن الموسوعات المحتدمة المعارف وفي مجالات شتى.

فكتب الوفيات تعتبر من أهم فنون التراجم وهي الكتب التي أرخت لوفيات العلماء والمشاهير والملوك وغيرهم في كل عصر من العصور، مع ترجمة إما يسيرة وإما طويلة حسب الشخصية المترجم لها[5]، ذلك حسب وزنها وتأثيرها في الفعل التاريخي أو السياسي أو العلمي أو غيره.

---

1 ـ أحمد بن يحي الونشريسي، وفيات الونشريسي، ط1، تح:محمد بن يوسف القاضي، نوابغ الفكر للنشر والتوزيع والتصير، القاهرة ـ مصر، 2009م،ص2 (نقلا عن المحقق).

2 ـ المصدر نفسه، ص26.

3 ـ المصدر نفسه، ص80 ـ 81.

4 ـ لشهب أحمد،"كتب وفيات الأعلام وفوائدها العلمية ـ وفيات الونشريسي ـ أنموذجا"، **مجلة المعيار**، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة ـ الجزائر، المجلد:23، العدد: 02، 2019.03.15م، ص ص113.135، ص126 ـ 132.

5 ـ لشهب أحمد، "كتب وفيات الأعلام وفوائدها العلمية ـ وفيات الونشريسي ـ أنموذجا"، المرجع السابق، ص114.

كما أن للإمام للونشريسي مؤلفات أخرى لم نعثر عليها كتآليف مستقلة نالت حقها من التحقيق والدراسة هذا طبعا في حدود بحثنا، ولكن وجدنا بعض الإشارات إليها في بعض المصادر والمراجع منها على سبيل المثال كتاب "الواعي لمسائل الإنكار والتداعي"، و"تعليق على مختصر ابن الحاجب"، وتأليف في ترجمة محمد المقري الجد وللمؤلف مجموعة أخرى من الكراسات والرسائل متناثرة بين مؤلفاته كـ "المعيار" و"أقرب المسالك"[1]، تدل على براعة أحمد بن يحي الونشريسي خاصة في الجانب الفقهي وبالضبط الفقه النوازلي.

إن الزاد المعرفي الذي امتاز به أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي لا يمكن أن ينبئ إلا عن عالم موسوعي، ذلك قد يبدوا مبالغا فيه لكونه برع في الفقه النوازلي، ولكن المتأمل في هذا المجال من العلوم الشرعية، يجد أنه من أعقد التخصصات وأصعبها ذلك باعتباره يقوم على مسائل قد استجدت في واقع الناس لم يجد لها دليلا يبين موقف الشرع منها، فتحتاج لعلوم جمة، كعلوم القرآن، وعلوم الحديث، وعلوم اللغة، وعلم أصول الفقه، وعلم مقاصد الشريعة وغيرها من العلوم، كما تحتاج عقلا حكيما، ذكيا فطنا، وهذا ما توفر في أحمد بن يحي الونشريسي ـ رحمه الله تعالى . ـ

ولهذا اعتبر أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي حامل لواء المذهب المالكي والفقه نوازلي في مجتمع بلاد الغرب الإسلامي، ذلك لخصوصية الرقعة الجغرافية، وجملة الأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، والتي تحمل من القراءات والدلائل الكثير، ولا أدل على ذلك من كثرة الدراسات والأبحاث المتعلقة بموسوعة "المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل

1 ـ زكري لامية، المرجع السابق، ص68.

إفريقية والأندلس والمغرب"، لتشمل دراسات تاريخية وفقهية واجتماعية وغيرها، ما يدل على الموسوعية التي كان يتمتع بها الونشريسي.

خاتمـــــــــة

إن الموسوعية التي كانت سمة بارزة عند العلماء المسلمين في بلاد الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، لم تكن لتتحقق لولركن هؤلاء الأفذاذ إلى الظروف المحيطة، من اضطهاد الحكام في بعض الأحيان، ولإدراء الأقران في البعض الآخر وعطلوا ما وهبهم الله من قوة الحفظ وسعة البذل، فكان من نتائج هذا الاهتمام أن قدم هؤلاء الأفذاذ إسهامات علمية متنوعة يشهد بها التاريخ حيث كان لها الأثر البالغ على خزانة الإنتاجات المعرفية والفكرية.

ثم إنه لم يكن للعلماء الموسوعيين الاتصاف بهذه الصفة ـ الموسوعية ـ لولا توافر جملة من الدوافع والعوامل جعلت منهم نوابغ بروعوا في أكثر من مجال معرفي أو فكري، من هذه العوامل الخيرية التي يحوزها أهل العلم بتزكية الشريعة الإسلامية لهم باعتباره أفضل ما يورث، مع نباهة مدارك هؤلاء العلماء وتفتق عقولهم، والجدية والاهتمام البالغ في البحث في المسائل العلمية الدقيقة، والرحلات العلمية التي جالوا بها مختلف الحواضر العلمية، وحضور مجالس الشيوخ والعلماء للنبع من علومهم ومعارفهم مع أخذ التزكية منهم، وحب العلم والتأليف والانشغال بأفضل العلوم وأهم الأعمال، وانتشار الحواضر الإسلامية العلمية الكبرى ذلك بالنسبة للعدوتين المغربية أو الأندلسية.

كما كان للعلماء الموسوعيين ببلاد الغرب الإسلامي في العصر الوسيط مكانة حضارية لا يمكن إنكارها ذلك نتيجة لما ترك هؤلاء العلماء من أثر علمي وفي مجالات متعددة، فكان من بين من برع في مجال التأليف في بلاد الغرب الإسلامي في العصر الإسلامي الوسيط ابن حزم الأندلسي وابن يحي الونشريسي، فألف ابن حزم في مجال العقيد والأديان والفكر "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، و"التقريب لحد المنطق"، و"مراتب العلوم"، أما في الفقه وأصوله ألف "رسالة في المفاضلة بين الصحابة" ـ رضي الله عنهم ـ، و"الإحكام في أصول الأحكام"، أما في التاريخ والسير والأدب والنفس وأحوالها فكان مما أنتج من الكتب "نقط العروس في تواريخ

الخلفاء"، و"جمل فتوح الإسلام"، و"جوامع السيرة النبوية"، و"طوق الحمام في الألفة والألاف"، و"الأخلاق والسير في مداواة النفوس" وغيرها.

أما أهم الإنتاجات العلمية والمعرفية التي ألفها الونشريسي، ففي الفقه وأصوله أنتج "موسوعة المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب"، و"إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك"، و"عدة البروق في تلخيص ما في المذهب من الجموع والفروق"، وفي السياسة والحكم، ألف "المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق"، و"كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية"،وكتاب "الوفيات" والذي يدخل في إطار التراجم والتاريخ.

إن لكل من ابن حزم الأندلسي وابن يحي الونشريسي كثير من المؤلفات سواء ما تم تحقيقه ونشره بين الدارسين والباحثين، أو ما لم يتم تحقيقه ولا نشره أو توفره على الأقل في حدود دراستنا، حيث قاما بحفظ مرجعية معينة كانت منطلقا لتكوينه العلمي والمعرفي فابن حزم جدد المذهب الظاهري والونشريسي حمل لواء المذهب المالكي وأضاف له الفقه النوازلي الذي يحمل في ثنياه الزاد العلمي والكم المعرفي في مختلف المجالات، ذلك أن الفقه النوازلي يرتبط أساسا بالفتوى، والفتوى لها علاقة بحياة الناس الإجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها.

ومهما كانت دوافع التأليف عندهم إلا أنها اشتركت في نقطتين مهمتين للغاية:

الأولى: هي أن هؤلاء العلماء قد تحملوا أمانة التأليف والنقل والتجميع، وحملونا أمانة التحليل والمناصفة والتقويض.

والثانية: أنهم لم يجدوا شيئا أشرف من العلم في هذا الوجود لتحقيق غاية وجودهم ولو راموا غيره لنالوه، فلم يثنهم عنه ظرف من ظروف القهر، ولا صرف من صروف الدهر ذلك كله بعد فهمهم لمقاصد العلم الدنيوية والأخروية.

ثم إن اللافت للانتباه أن هؤلاء الأعلام لم يكن لهم دراية بهذا الوصف ـ بالموسوعيين ـ كما أنه لم يكن شائعا بينهم باعتبار عدم شيوع وانتشار ما يعرف في زمننا بالتخصصات والتي اعتقد البعض أنها تغني عن باقي العلوم ما قتل عندنا روح الانشغال بالعلوم والتوليف بينها بما يخدم بعضها بعضا، وللتكاملية بين كثير من العلوم وخدمة بعضها للآخر، كالتكامل مثلا بين علوم الشريعة وعلوم اللغة العربية، أو التكامل بين التاريخ والجغرافيا والسيرة وغيرها، وبناء على كل ما سبق يمكن فتح آفاق للبحث مستقبلا في ما يلي :

01ـ يمكن القيام ببحث يصنف ويحصي العلماء الموسوعيين المجمعين، أو العلماء المسوعيين المبدعين في بلاد الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، أو كليهما.

02ـ يمكن القيام ببحث يصنف العلماء الموسوعيون في العلوم النقلية، أو في العلوم العقلية، أو في كليهما كذلك، طبعا في بلاد الغرب الإسلامي في العصر الوسيط.

قائمة المصادر
والمراجع

أ ـ قائمـــة المصـــادر:

القـــرآن الكريـم براويـــة حفـص.

01ـ ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك الأندلسي(ت578هـ/ 1183م)، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ط2، تح: السيد عزت العطار الحسينـي، مكتبة الخانجي، 1374 هـ / 1955 م.

02ـ ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي(ت456هـ/1064م)، الإحكـام في أصول الأحكام، ج1، تح: أحمد محمد شاكر/ إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت ـ لبنان، (د.ت. ط).

03ـ (ـــــــــــ، ـــــــــــ): جمهرة أنساب العرب، ط1، دار الكتب العلميـة ، لبنان ـبيروت، 1403هـ/1983م.

04ـ (ـــــــــــ، ـــــــــــ): الفصل في الملل والأهواء والنحل،ج1، ط2، تح: محمد إبراهيم نصر/عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت ـ لبنان، 1416هـ/1996م.

05ـ (ـــــــــــ، ـــــــــــ): التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، ط1، تح: إحسان عباس، دار مكتبة الحياة، بيروت ـ لبنان، 1900م.

06ـ (ـــــــــــ، ـــــــــــ): رسائل بن حزم، تح: إحسان عباس، ط2، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، 1987م.

07ـ (ـــــــــــ، ـــــــــــ): رسالة في المفاضلة بين الصحابة، تح: سعيد الأفغاني المطبعة الهاشمية، دمشقن ـ سوريا، 1359هـ/1940م.

08ـ (ـــــــــــ، ـــــــــــ): التخليص لوجوه التلخيص، تح: عبد الحق التركماني ط1،دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان، 1423هـ ـ 2003 م.

09ـ (ـــــــــــ، ـــــــــــ): نقط العروس،ج2، ط2،تح:إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ـ لبنان، 1987م.

10ـ (ـــــــــــــ، ـــــــــــــ): رسالة أمهات الخلفاء، رسائل بن حزم، تحقيق عبد العزيز إبراهيم، 1959م.

11ـ (ـــــــــــــ، ـــــــــــــ):رسالة جمل فتوح الإسلام،ج2، ط2، تح: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ـ لبنان، 1987م.

12ـ (ـــــــــــــ، ـــــــــــــ): أسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم،ج2، ط2 تح إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ـ لبنان، 1987م.

13ـ (ـــــــــــــ، ـــــــــــــ): جوامع السيرة النبوية، ط1، تح: عبد الكريم سامي الجندي ـ دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، 2003 م/1424 هـ.

14ـ (ـــــــــــــ، ـــــــــــــ): أصحاب الفتيا من الصحابة والتابعين ومن بعدهم على مراتبهم في كثرة الفتيا، ط1، تح: كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، 1415هـ/1995م.

15ـ (ـــــــــــــ، ـــــــــــــ): طوق الحمامة في الألفة والألاف، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1988م .

16ـ (ـــــــــــــ، ـــــــــــــ): الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ط2، دار الآفاق الجديدة ـ بيروت، 1399هـ / 1979م.

17ـ (ـــــــــــــ، ـــــــــــــ): معرفة النفس بغيرها وجهلها بذاتها، ج1، ط2، تح: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ـ لبنان، 1987م.

18ـ ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1423هـ/2003م.

19ـ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد(ت681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج3، تح: إحسان عباس، دار صادر ـ بيروت، 1900م.

20ـ الدبـاغ، أبو زيد عبد الرحمن بن علي(ت699هـ/1300م)، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان،ج1، ط2، تح: إبراهيم شبوح، مكتبة الخانجي ـ مصر، 1986م.

21ـ الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد(ت748هـ/1348م)، سير أعلام النبلاء،ج 9، ط03، دار الحديث ـ القاهرة،1427هـ/ 2006م.

22ـ (ـــــــــــــ، ـــــــــــ): سير أعلام النبلاء،ج18، ط1، تح:شعيب الأرناؤوط /محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، 1405هـ/1984م.

23ـ ابن عسكر، محمد الحسني(986هـ/1578م)، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، ط2، تح: محمد حجي، الرباط ـ المغرب، 1397هـ/1977م.

24ـ الغبريني، أحمد أبو العباس بن أحمد البجائي(ت704هـ/ 1304م)، عنوان الدّراية في من عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجاية، ط2، تح:عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت ـ لبنـــان، 1979م.

25ـ ابن القاضي، أبو العباس أحمد بن أبي العافية (1025هـ/1616م)، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، ج1، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط ـ المغرب، 1973م/1393هـ.

26ـ القاضي عياض اليحصبي أبو الفضل بن موسى اليحصبي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج5، ط2، تح: محمد بن شريفة، مطبعة فضالة، المحمدية ـ المغرب، 1982م.

27ـ القلصادي، أبي الحسن علي، رحلة القلصادي، تح: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، وزارة الشؤون الثقافية، قرطاج ـ تونس، 1978م.

28ـ المراكشي، عبد الواحد بن علي التميمي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، ط2، تح: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي دار الكتاب، الدار البيضاء ـ المغرب، 1978م.

29ـ ابن مريم، أبو عبد الله محمد بن محمد المليتي المديوني التلمساني، البستان في ذكر

الأوليـاء والعلمـاء بتلمسان، تح: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م.
30ـ المكناسي، أبي العباس أحمد بن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، ج2، دار المنصور للطباعة الوراقة، الرباط، المغرب، 1973م.
31ـ المقري، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني(ت1041هـ/ 1631م)، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ج3، تح: مصطفى السقا / إبراهيم الإبياري/عبد العظيم شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1358 هـ / 1939 م.
32ـ (ـــــــــــــ، ـــــــــــــ): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ـ لبنان، د . ت . ط.
33ـ الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى(ت914هـ/1509م)، عدة البروق في جمع ما في المذهب من الجموع والفروق، ط1، تح:حمزة أبو فارس، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، 1410 هـ/ 1990م.
34ـ (ـــــــــــــ، ـــــــــــــ): إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك، ط1، تح: الصادق الغرياني، دار ابن حزم، لبنان، 2006م.
35ـ (ـــــــــــــ، ـــــــــــــ): المعيار المعرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ج1، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط ـ المغرب، 1976م.
36ـ (ـــــــــــــ، ـــــــــــــ): إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام أبي عبد الله مالك، ط1، تح: الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، 1427 هـ /2006م.
37ـ (ـــــــــــــ، ـــــــــــــ): عدة البروق في جمع ما في المذهب من الجموع والفروق، تح: حمزة أبو فارس، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت ـ لبنان، 1410 هـ/

1990 م.

38. (ـــــــــــــ، ـــــــــــــ): المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق، تح: عبد الرحمن بن عبد الرحيم الأطرم، ط1، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ـ دبي ـ الإمارات العربية المتحدة، 1426هـ/2005م.

39. (ـــــــــــــ، ـــــــــــــ): كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية، تح: محمد الأمين بلغيث، نشر لافوميك، 1985م.

40. (ـــــــــــــ، ـــــــــــــ): وفايات الونشريسي، ط1، تح:محمد بن يوسف القاضي، نوابغ الفكر للنشر والتوزيع والتصير، ـ القاهرة، 2009م.

ب ـ قائمة المراجع:

01. التنبكتي، أبو العباس أحمد بابا بن أحمد، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ط2،تح: عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس ـ ليبيا، 2000 م.

02. حجي محمد، نظرات في النوازل الفقهية، ط1، الجمعية المغربية للتأليف والنشر والترجمة، المغرب، 1999 م.

03. حسان محمد حسان، ابن حزم الأندلسي عصره ومنهجه وفكره التربوي، دار الفكر العربي، القاهرة ـ مصر،(د. ت. ط).

04. حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ،ج1، ط3، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1993م.

05. حوالة يوسف، الحياة العلمية في إفريقية المغرب الأدنى منذ انتهاء الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري، ج1، 2005 ـ 2006م.

06. أبو زهرة أحمد، ابن حزم حياته وعصره ـ أراءه وفقهه ، ملتزم للطبع والنشر ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة ، 1373هـ/ 1954م.

07ـ سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، 1998م.

08ـ سعيدوني ناصر الدين، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي "تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، 1999م.

09ـ العبادي أحمد، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، (د . ت . ط).

10ـ الرافعي مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، ج1، ط4، دار الكتاب، العربي، بيروت ـ لبنان، 1394هـ/1974م.

11ـ رمضان يوسف محمد خير، دوافع البحث والتأليف عند المسلمين، ط1، دار بن حزم، بيروت ـ لبنان، 1426 هـ / 2005 م.

12ـ العلام عز الدين، الآداب السلطانية، دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2006م.

13ـ فتحة محمد، النوازل الفقهية والمجتمع، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء ـ المغرب، 1999م.

14ـ فلاح القيسي فايز عبد النبي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ط1، دار البشير، عمان ـ الأردن، 1409هـ/1989م.

15ـ القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن المبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، ج1، ط1، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي / محمد رضوان عرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، 1427 هـ / 2006م.

16ـ الكتاني عبد الحي، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، ج2، ط2، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، 1402هـ/1982م.

17ـ محمد بن محمد بن عمر مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية،ج1، ط1، تح:

عبـد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، 1424 هـ /2003م.

18ـ المشرفـي، محمـد محـي الديـن ، إفريقيـا الشماليـة فـي العصـر القديـم، ط4، دار الكتـب العربية، لبنان، 1389 هـ / 1969م.

19ـ مطلـق ألبيـر حبيـب، الحركـة اللغويـة في الأندلـس منـذ الفتـح العربـي حتـى نهايـة عصـر ملوك الطوائف، المكتبة العصرية، صيدا (بيروت) ـ لبنان، 1967م.

20ـ مقبـول محمد حسين، محاضرات في تاريخ التشريـع الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون ـ الجزائر، 1994م.

21ـ وهبـه مجـدي/ كامل المهندس، معجـم المصطلحـات العربيـة فـي اللغـة والأدب، ط02، مكتبـة، لبنـــان ـ بيروت، 1984م.

ت ـ قائمـة الرسائـل الجامعيـة:

01ـ بوحسون عبـد القـادر،"العلاقـات الثقافيـة بيـن المغـرب الأوسـط والأندلـس خـلال العهـد الزيانـي(633 ـ 962هـ)"،(**رسالة ماجستير**)، جامعـة أبـي بكـر بلقايـد، تلمسـان ـ الجزائـر، 2007 ـ 2008م.

02ـ بكـري العيـد،"العلاقـات الثقافيـة بين الأندلـس ودول المغـرب بين القرنيـن (7 ـ 9 هـ)"، (**رسالـة ماجستيـر**)، جامعة العقيد الحاج لخضر ، باتنة ـ الجزائر، 1435 ـ 1436هـ/2014 ـ 2015م.

03ـ حاج شيخ أمينة، الدولة الأموية في عهد هشـام ابـن عبـد الرحمن بـن معاويـة، (**رسالـة ماستر**)، جامعة محمد خيضر، بسكرة ـ الجزائر، 2019/2018م.

04ـ دنـا عبـد اللطيـف، شعريـة النثـر ـ طـوق الحمامـة أنموذجـا، (**رسالـة ماجيستيـر**)، قسـم اللغة العربيـة وآدابهـا ـ كليـة الآداب والعلـوم ـ جامعة الشرق الأوسـط، عمـان ـ الأردن، 2011 ـ 2012 م.

05ـ بن عطيـة الله إبراهيـم، تاريخ مدينـة طليطلة في العصر الإسلامي ـ دراسة تاريخية حضارية ـ

(**رسالة ماجيستير**)، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، السعودية، الرياض، 1424 ـ 1425 هـ .

ث ـ المجـــــلات:

01ـ بغدادي بشير، "أثر اكتساب العلم في تهذيب الأخلاق من خلال كتاب الأخلاق والسير في مداواة النفوس"، **مجلة آفاق للعلوم**، جامعة الجلفة ـ الجزائر، المجلد:01، العدد:04، 2016م.

02ـ بن بوزيان عبد الرحمن،"محطات من التاريخ السياسي والحضاري لمدينة فاس منذ النشأة إلى بداية العهد الحمادي"، **مجلة قرطاس للدراسات الفكرية والحضارية**، جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة ـ الجزائر، المجلد:08، العدد:01، 2021م.

03ـ بن خيرة رقية،"جدل الخطاب الفقهي والسياسي قراءة في كتاب والولايات للونشريسي" ، **مجلة مقدمات**، جامعة مصطفى اسطنبولي ـ معسكر، المجلد: 02، العدد:01، 2018م.

04ـ بن عمر محمد، "التجربة المعجمية في فكر ابن حزم الأندلسي"، **مجلة الأثر**، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة ـ الجزائر، المجلد:03، العدد:03، 2004م.

05ـ بوشريط امحمد، "ابن حزم ومقارنته للأديان من خلال كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل الوحدانية في ميزان المسيحية واليهودية"، **مجلة مواقف**، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر ـ الجزائر، المجلد:02، العدد: 01، 2008م.

06ـ بوطارن مبارك،" القيروان بوصفها أول حاضرة إسلامية في بلاد المغرب ودورها في الإشعاع العلمي"، **حوليات التاريخ والجغرافيا**، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة ـ الجزائر، المجلد:08، العدد:02، 2019م.

07ـ البوعبدلي المهدي،"الجوانب المجهولة من ترجمة حياة الإمام أحمد بن يحي الونشريسي"، **مجلة الأصالة**، إصدار وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، عدد:84/83، 1980م.

08. بوفلاقة محمد سيف الإسلام،"الأعمال الموسوعية بالوطن العربي في ميزان البحث"، **مجلة التميز**، المركز الجامعي نور البشير، البيض ـ الجزائر، المجلد:03، العدد:01، 2021م.

09. زقور أحسن،"تقديم مخطوط المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق"، **المجلة الجزائرية للمخطوطات**، جامعة أحمد بن بلة، وهران ـ الجزائر، مجلد:01، العدد:02، 2005م.

10. زكري لامية، "من أعلام تلمسان: أبو العباس أحمد الونشريسي(834 ـ 914هـ/ 1430 ـ 1508م)،سيرة ومسيرة"، **مجلة عصور الجديدة**، جامعة وهران ـ الجزائر، المجلد: 03، العدد:10، 2013م.

11. صرموم رابح،"المعيار المعرب للونشريسي وأهميته في الدراسات التاريخية"، **حوليات جامعة الجزائر**، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، وهران ـ الجزائر، المجلد: 03، العدد:03، 2021م.

12. طالب حفيظة،"مؤلفات ابن حزم الأندلسي"، **المجلة الجزائرية للمخطوط**، جامعة أحمد بن بلة، وهران ـ الجزائر، المجلد:05، العدد:06، 2009م.

13. عريف إسماعيل، "السمة الموسوعية التكاملية في مؤلفات العلماء المسلمين مقدمة بن خلدون أنموذجا"، **مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية**، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي ـ الجزائر، المجلد: 06، العدد: 02، 2016م.

14. لشهب أحمد،"كتب وفيات الأعلام وفوائدها العلمية ـ وفيات الونشريسي أنموذجا"، **مجلة المعيار**، جامعة قسنطينة ـ الجزائر، المجلد:23، العدد: 02، 2019م.

15. مزاري عبد الرحيم، "كتاب المعيار المعرب للونشريسي بين الدراسات الأكاديمية والاستعمال الفقهي"، **مجلة الحضارة الإسلامية**،جامعة أحمد بن بلة، وهران ـ الجزائر، المجلد:20، العدد :01، 2019م.

16. هيمون محمد، "مراكش حاضرة علمية"، **حوليات التاريخ والجغرافيا**، المدرسة العليا

للأساتـذة، بوزريعـة ـ الجزائـر، المجلـــد: 09، العـدد:02، 2019م.

17ـ يحيى سمراد سمير، "خزانـة الشيخ أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي": **مجلة الحضارة الإسلامية**، جامعة أحمد بن بلة، وهران ـ الجزائـر، المجلـد :20، العـدد: 02، 2020م.

ج ـ المواقع الإلكترونية:

01ـ بوطاهـر بوسـدر، "تاريـخ الكتابـة والتأليف عند العرب"، شبكـــة الألوكة **https://www .alukah.net**، تاريخ النشر:2017/12/10.

02ـ عطيـة جمعـة مصطفـى، "العالـم بيـن التخصـص الدقيـق والموسوعـي"، شبكـة الألوكـة **https**://**www** .**alukah**.**net**، تاريـــخ النشـــر:2016/07/30م.

الفهـــرس

مقدمـــة _____ 1 - 6

الفصـل التمهيـدي: حركـة التأليـف وموسوعيتهـا عنـد العلمـاء المسلميـن: _____ 7

المبحــث الأول: التأليــف والإنتــاج العلمـــي عنـــد المسلميـــن:.....8

01 ـ حركة الإنتاج العلمي، ودوافعها عند العلماء المسلمين:.....- 8 -

02 ـ عوامـل نبـوغ العلمـاء المسلميـن فـي أكثـر مـن فـن:.....- 14 -

المبحــث الثانـــي: موسوعيـــة العلمـــاء المسلميـــن:.....- 21 -

01 ـ العلماء الموسوعيون والتأليف الموسوعي:.....- 21 -

02 ـ التأثر والتأثير المتبادل بين موسوعيي العدوة المغربية والعدوة الأندلسية:.....- 24 -

الفصـــل الأول: ابـن حـزم الأندلســي ونمـاذج مـن إنتاجاتـه العلميـة: _____ 28

المبحــث الأول: التعريــف بابـن حـزم الأندلسـي:..... 27

01 ـ مولـــده ونسبــه: 28

02 ـ نشأته وطلبه للعلم: 28

03 ـ محنتـــه وفاتـــه: 30

المبحث الثاني: نماذج من الإنتاج العلمي لابن حزم:.....32

01ـ العقيـدة والأديـــان والفكـــر:.....32

02ـ الفقـــه وأصولـــــه: 34

03ـ التاريخ والأدب والنفس وأحوالها: 37

الفصـل الثاني: أحمـد بن يحي الونشريسي ونماذج من إنتاجاته العلمية: _____ - 48 -

المبحــث الأول: التعريــف بأحمــد بــن يحــي الونشريسـي: .....

02ـ مولــده ونسبــه:.....- 49 -

03 ـ طلبــه للعلــم، ومكانتــه العلميــة: .....- 50 -

04ـ محنتــه وفاتـــه:.....- 54 -

المبحث الثاني: نماذج من الإنتاج العلمي لأحمد بن يحي الونشريسي:.....

01ـ الفقـه وأصولـه، ومقاصـد الشريعـة الإسلاميـة:.....- 56 -

02ـ السياسة والحكم والقضاء:.....- 63 -

03ـ التاريـــخ والتراجـــم:.....- 65 -

خاتمـــــــــة: _____ - 69 -

قائمـــة المصـــادر والمراجـــع: _____ 73 - 82